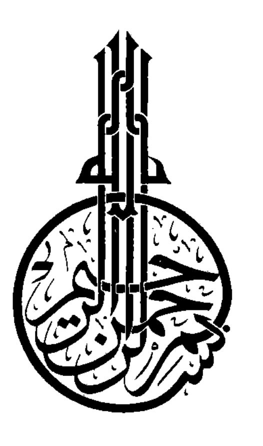
مصطفى سعيد الخن

العالم المربي، وشيخ علم أصول الفقه في بلاد الشام

بقلم
د. محيي الدين ديب مستو


بسم الله الرحمن الرحيم

مُصْطَفَى سَعِيدٍ الخِنّ

العَالِمُ المُرَبِّي، وَشَيخُ عِلمِ أُصُولِ الفِقهِ

في بِلادِ الشَّامِ

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

تُطلب جميع كتبنا من :

دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص.ب : ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق

دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

مقــدّمة المؤلف

أحمدُ اللهَ الرحيم الرحمان، خلق الإنسان علَّمه البيان، وأشـكره على نعمه الغامـرة بالفعل والقـول والجنان، وأسـتعينه وأسـتهديه على الدوام، موقناً أنه ما خاب من وقف ببابه راجياً واستكان واستعان.

وأُصلِّي وأُسلِّم على محمّد رسول الله، سيد ولد عدنان، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين آمنوا به واتّبعوا هديه، وعملوا بسُنَّته، فكانـوا نعم الأهل والأصحاب والأعوان.

وبعد:

فقد راقت لي فكرة صديق العمر الأسـتاذ (أبي سـليم) محمد علي دولة، المؤسس لدار القلم بدمشق، حفظه الله ورعاه، وجعلَ دار القلم عامـرة ومزهرة دائمـاً بالمثمر المفيـد من كتابـات العلماء، وتـوهجات أفكـارهم، وحصـاد أقـلامهم، ودقائق تجاربهم، وصفـاء أرواحهم، واستقامة دروبهم.

وتتلخص الفكرة الناضجة، بالترجمة لعلماء مؤلفين، ولمفكرين معاصرين، عاشـوا في القرن العشرين، والتعريف بأفكارهم وكتبهم، وبيان أثرهم في الساحة الثقافية الإسلامية، والأجيال المسلمة.

ولاريب أن في ترجمة العَلَم المؤلِّف ـ وهو على قيد الحياة ـ إنصافاً له، وتنشـيطاً لذاكرته في رسم الخطوط العريضة لرحلة حياته، وسـماع

ذكرياته عن المحطات الرئيسة من تحصيله العلمي، ونبوغه في حدود تخصُّصه، وتميزه في كتبه وتآليفه، وثمرات يراعه.

وما أحوج الأجيال المسلمة في عالمنا العربي والإسلامي إلى وجود القدوة الصالحة، والمثل الأعلى، متمثلاً في علماء ربانيِّين، ومُفكِّرين هداة، في عصر بدأ يعقم ويُجدب، وتغيب شمس حضارته، ويتسارع فيه فقد العلماء، فيرتفع العلم بموتهم؛ كما أخبر النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله لا يَقبضُ العِلمَ انْتزَاعاً يَنتزِعَهُ مِنَ العِبادِ، وَلكنْ يَقبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاء»[1].

وما أخطرَ دروبَ الحياة وهي تخلو من العلماء العاملين، مصابيح الهدى، ورهبانِ العلم، وأحلاسِ[2] حلقات الدروس والمكتبات، الذين يُنَصِّبُهم الناسُ ـ بالزهادة والورع والإخلاص ـ سلاطين، فيحكمون النفوسَ والقلوبَ بالحبِّ الصادق، والنظرة الحانية، والبسمة البريئة، في زمن التيه والحيرة، والقبض على الجمر، والجاهلية المتعالمة؛ وحيث تضيع الهُوية، وتتشوّه الصورة بالأشباه والأشباح، وتُفتقد الأسوة، وتغيب الأصول، وتنقطع الجذور.

وإذا عرفنا كثيراً من أعمدة المؤلِّفين من خلال تراثهم وتآليفهم، والتي اشتهرت وتركتْ بصماتٍ ظاهرة في الساحة الثقافية، وعنواناتٍ

---

(١) أخرجه البخاري في العلم (١٠٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ وفي رواية البخاري ومسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهَّالاً، فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا».

(٢) جمع حلس، وهو المواظب المثابر، يقال: هو حِلْسُ بيته، إذا لم يبرح مكانه.

لافتة في المكتبة الإسلامية؛ فإننا من خلال سلسلة (علماء ومفكرون معاصرون) نستطيع أن نتعرف على كتب قيِّمة، تستحق الاهتمام والاقتناء، لتكوين مكتبة الأسرة المسلمة، ومكتبة الباحث والمتخصص، على هدى ونور، بعد كثرة التحقيقات والمطبوعات، واختلاط الغثّ بالسمين، والمعقول باللامعقول، والسمِّ بالمعسول، وركوب موجة النشر من الكتبة غير الملتزمين ولا المتخصِّصين، ومن الناشرين الجهلة والمقلِّدين.

وكم كان يُبهجني ويُسعدني خلالَ زياراتي للمعارض الدولية للكتاب، القارىءُ الجادُّ الذي يطلب تزكية المؤلِّف أو المحقق قبل شراء الكتاب، والقارىءُ الفاهمُ الذي يطلب مسردَ الكتب لمؤلِّفٍ بعينه، لاقتنائها جميعها، بعد اقتناعه بتوثيقه وتعديله، وتأثره بوضوح منهجه، وتميُّز أسلوبه، وتطابق أقواله وأفعاله.

وإنها لمسؤولية جسيمة، ومهمة كبيرة؛ أن أشارك بتحرير واحدٍ من أعداد سلسلة (علماء ومفكرون معاصرون) بعنوان: (مصطفى سعيد الخن: العالم المربي، وشيخ علم أصول الفقه في بلاد الشام) وأن أنجح في ذات الوقت بكبح جماح عواطفي ومحبتي له، وأن ألتزم الموضوعية والحياد التام في عرض حياة هذا العالم المِفْضال، الذي يتبوأ عن جدارة واستحقاق، لقب أستاذ الأساتذة النابهين، وبه يتخرَّج عدد من الدكاترة الفضلاء في كل عام، وهو أحد العلماء العاملين الأثبات في دنيا العروبة والإسلام.

وقد تحقق جميع أحبابه وطلابه وطالباته الذين يحضرون دروسه الجامعية، أو يردون داره العامرة، أو ينهلون من كتبه المصدرية، أو يتصلون

به هاتفياً سائلين ومستفتين، أنَّ علمَه شائع ومبذولٌ للجميع، وأنه الأصوليُّ البارع، والنَّحْويُّ المتمكِّن، والفقيه الشافعي الملتزم، من غير غلوٍّ ولا تعصُّب، والمربِّي المستحضر لتاريخ طويل من القراءات والذكريات.

لقد عرفتُ شيخنا (أبامحمد) ـ حفظه الله تعالى ورعاه ـ من قرب قريب، ومن أمدٍ بعيدٍ؛ عرفته من أربعين سنة وحتى اليوم أستاذاً جامعياً مربياً، وزميلاً ودوداً ناصحاً، وأخاً كبيراً باراً، وشيخاً ربَّانياً وقوراً. وكان له فضل كبير عليّ في جميع مراحل حياتي العلمية، وبخاصة في مرحلتيْ التدريس والتأليف. واشتركت معه في تأليف وتحقيق كتبٍ مرجعية، طُبعت مراراً؛ مما يدلُّ على تلقي الناس لها بالرِّضَا والقبول.

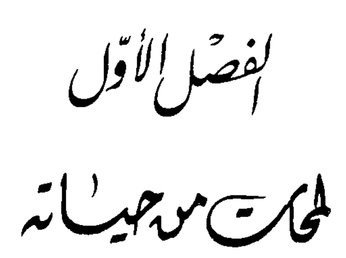
وأحمدُ الله تعالى وأشكره على الدوام؛ أن أتاح لي الكتابة عن حياة أستاذي (الدكتور مصطفى الخن) وأن أُعَرِّف بمؤلفاته، لعلَّني أردُّ له بعضَ أفضاله، وماكنتُ لأوفيه تمام إكرامه.

وأسأل الله تعالى أن يمدَّ في عمره، ويُديمَ عليه عافيته، ويمتعه بأهله وأولاده، وينفعَ بعلمه وخبراته.

كما أسأله سبحانه أن يديمَ المحبة والوفاء بين مُحبِّيه ومُريديه، وأن يجمعنا به تحت لواء سيدنا رسول الله ﷺ، وأن يرزقنا جميعاً التقوى، وأن يختم لنا بالحسنى.

دمشق الشام في: ١/ ١/ ١٤٢٠هـ ١٧/ ٤/ ١٩٩٩م

د. محيي الدين ديب مستو



- الأسرة
- النشأة
- في جامع منجك، ومعهد التوجيه الإسلامي
- السفر إلى مصر (الإجازة في الشريعة من الأزهر)
- العمل في وزارة التربية مدرساً
- العمل في الجامعات وشهادة (الدكتوراه)
- زوجته وأولاده



الفصل الأوّل

لمحات من حياته

أولاً ـ الأسرة

١ ـ اسمه ونسبه: هو مصطفى بن سعيد بن محمود الخن الشافعي الميداني الدمشقي[١].

و(آل الخن) أسرة دمشقيَّة عريقة ومعروفة وكبيرة، وعبد الغني وابنه عرابي الخن هما العمدة والمرجع في الميدان كله، والباشا التركي ينزل في دارهما، ومنها ينطلق إلى الحج.

٢ ـ والأب: سعيد الخن، ورث العمودية (المخترة) عن أبيه، واستمرَّ في هذا المنصب ذي الوجاهة والشرف من العهد العثماني وحتى وفاته عام (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م)، وكانت له في بيته هيبة وصولة، وهو المرجع في حي الميدان الفوقاني، وله تاريخ حافل من الوطنية، وحماية الثوار، ورعاية أسرهم. وبيته في زقاق المخازن، جنوب جامع الدقاق؛ مفتوح للجميع، يجد قاصده كرم الضيافة والمساعدة في حل مشكلته، وإيصاله إلى هدفه وغايته.

٣ ـ والأم: يُقال إنها منسوبة إلى أهل البيت، وصلاحها وأخلاقها

---

(١) السجل المدني: ميدان ـ نعير ـ رقم ١٠.

وورعها، يدلُّ على ذلك، ويتجلَّى في تعزيتها لأولادها عندما فقدت فتىً منهم.

وعند احتضارها طلبت من ابنها مصطفى أن يقرأ سورة يسٓ، وطلبت من زوجها أن يسامحها عما يحتمل أن يكون بَدَرَ[1] منها من إخلال بطاعته أو تقصير بأداء واجباتها نحوه، وكان أبوها صالحاً لا يأكل إلا من عمل يدِه.

٤ ـ **الإخوة**: وقد أنجبَ الوالدان ثمانية من الذكور، وعشراً من الإناث، وكان ترتيب الشيخ (مصطفى) الخامس بين إخوته الذكور، والحادي عشر بين إخوته وأخواته.

وأبو سعيد (محمود) هو الأخ الكبير، وهو الذي ورث العمودية بعد أبيه، وبقي طيلة حياته يتقلَّد هذه المهمة الاجتماعية بشهامة ورجولة، ويتمتع جسمياً بلياقة رياضية، وقوة عظيمة، فهو متميز في حمل الأثقال، ويُمسك بالحجر الصُّلب فيفتته بين أصابعه، ويضع يده على ظهر الفرس الشموس فيقف ساكناً لا حراك له. وعندما مرض في آخر حياته؛ كان شيخنا (أبو محمد) يرى في ذلك آية من آيات الله، تدلُّ على أن هذه الدنيا عرض زائل، وأنه لا يدوم فيها على حاله وكماله إلا الله عزَّ وجلّ.

وكان أبو صياح ـ أخوه ـ مولعاً من شبابه بكتب السير الشعبية، ومن مكتبته قرأ شيخنا (أبو محمد) منذ أن بدأ يقرأ؛ جميعَ هذه القصص، كقصة عنترة، وسيرة حمزة البهلوان، وتغريبة بني هلال.. ولا يزال يذكر

---

(١) وقد حكى لنا أستاذنا (أبو محمد): أنها خلال زيارتها لقبر ابنها رأى الحفار وجهها، فأصرَّت على طلب المسامحة من أجل ذلك، وهذا دليل خلق الحشمة ومزيد الستر والطاعة، المتأصل في نفسها.

بعض مشاهد هذه الحكايا ومغزاها حتى الآن.

وقد زرعَ الأبوان الكريمان في نفوس أولادهما الثماني عشرة جميعاً، الاستقامة والصلاح، ومحبّة بعضهم بعضاً، متمثلين بمصداقية وواقعية؛ احترامَ وطاعة الصغير للكبير، وإيثاره على أولاده وجميع ما يملك، ورحمة الكبير ورعايته لمن هو أصغر منه.

وكثيراً ما توقف شيخنا الدكتور (مصطفى) عند هذا البر، وضربَ الأمثلة من حياة بعض العلماء الأجلاَّء الذين كانوا يخدمون[1] بين أيدي إخوانهم الكبار برّاً ومحبّة، ضاربين بعرض الحائط مناصبهم الرفيعة ووجاهتهم العظيمة.

وبقي الشيخ (مصطفى) في هذه الأسرة المتماسكة، والتي بارك الله فيها، وتكاثر الأنجال والأحفاد، لقد بقي الشيخ ولايزال الأب الروحي للكبار والصغار، والشامة التي تجمل به مجالس الأسرة، وترنو إليه العيون وتهفو القلوب، ويتلقف الجميع كلامه العلمي، وذكرياته الجميلة، بكل اعتزاز ومحبة وإكبار.

* * * *

---

(١) من الأمثلة الشاهدة وقوف الشيخ الدكتور عبد الغني عبد الخالق أمام أخيه الكبير الشيخ مصطفى عبد الخالق بكل إجلال واحترام، وتقديمه الضيافة لزوار شقيقه، مع أنهما في درجة علمية، ووجاهة اجتماعية متقاربة، وقد شهدت هذا بنفسي كما أشرت إلى ذلك فيما يأتي.
ومن ذلك وقوف الشيخ أبي الخير زين العابدين أمام أخيه الشيخ عبد الرحمن في خدمة أضيافه، مع شهرة أبي الخير ووجاهته.

ثانياً ـ النشأة

وُلد الشيخ (مصطفى الخن) عام (١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٢م)، ونشأ في كنف والديه مع إخوته وأخواته في جو أسريّ، يسودُه الصفاء والأمان والهيبة والاحترام.

ولما بلغ الثامنة من العمر بدأ يتأثر بالجو الخارجي لحي الميدان الفوقاني، والذي يُعرف الكبار فيه بالتدين والصلاح، أما الأحداث والشباب فيعيشون جواً من الانفلات وتضييع الوقت بالألعاب التافهة، أو الوقوع في غياهب الجهل والضلال، واقتراف ما يغضب الله عزَّ وجلَّ، والمعصوم من عصمه الله.

وكان الناس يُهرِّبون أولادَهم من المدارس الفرنسية، خوفاً على عقيدتهم الدينية، وحميتهم الوطنية، ولا ريبَ أن الوالد (سعيد الخن) لمس في ابنه (مصطفى) مخايلَ الحفظ والذكاء، فرأى أن يُلحقَه بمكتب لقراءة القرآن وحفظه؛ كما ألحقه بعدها بمدرسة الجمعية الغراء الابتدائية، ولازمَها سنة كاملة، وكان مديرها الشيخ العلاَّمة (محمد حسن حبنكة) الميداني يرحمه الله، ثم أعقبه في إدارتها الشيخ (أحمد الصابوني) الحلبي، يرحمه الله، ثم انتقل بعد ذلك إلى المدرسة الرسمية التي كانت تدعى (أنموذج الميدان).

ولم يكتب الله تعالى لطالب العلم (مصطفى) أن يسير متدرجاً في سنوات الدراسة النظامية، وما يكتنفها في كثير من الأحيان من انقطاعات

أو معوِّقات، بل اختار الله له الدراسة الحرة التي تتناسب مع ذاكرته الحافظة وذهنه الوقَّاد. ففي صيف تلك السنة طلب منه والده أن يتعلَّم الحسابَ ومسكَ الدفاتر (الدوبيا) عند أستاذ يتقن هذا العلم، وعنده مكتب (كُتَّاب) لتعليم القرآن، وشارك الشيخ الخطاط محمد زرزور ـ يرحمه الله ـ في صيف عام (١٣٥٠هـ =١٩٣١م) صاحب الكتَّاب في تعليم التلاميذ الحساب والقرآن والخط، واكتشف الشيخ محمد في التلميذ (مصطفى) علائمَ النجابة والأهلية المتكاملة لطلب العلم الشرعي؛ فاستأذن والده (أبا محمود) أن يصطحبه معه إلى دروس الشيخ (حسن حبنّكة) في جامع منجك، فسمحَ الوالدُ ولم يُمانع.

وكان الشيخ الداعية حسن حبنكة ـ رحمه الله تعالى ـ قد أسَّس في المسجد عملاً علمياً متكاملاً، يشتمل على تعليم الكبار ـ من التجار وأصحاب الحرف ـ مساءً، بعد صلاة العشاء، وتختلف أسنانهم، وتقتصر الدروس على قراءة الفقه والحديث والنحو.

وتعليم الشباب المنقطعين لطلب العلم صباحاً، بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر، ويقرأ هؤلاء على الشيخ كتباً متخصِّصة في الفقه والحديث، والتفسير والنحو، ومن هؤلاء: الشيخ حسين خطَّاب، والشيخ محمد خير ياسين، والشيخ علي الحموي القابوني، والشيخ سعد الغلاييني، والشيخ محمد الحموي الفرا، والشيخ محمد صادق حبنكة، والشيخ عبد الرحمن حبنكة.. وهؤلاء يتولون تعليم طبقات الناس بعد العشاء؛ لأن الذين يحضرون مساءً من التجار وغيرهم يُقسَّمُون إلى خمسة أقسام، كل قسم يدرس كتاباً في الفقه أو النحو أو الحديث، حسب استعداده وفهمه، وأحد هذه الأقسام متقدِّم في التحصيل العلمي، ويُدرِّسهم الشيخ (حسن) نفسه، وقبل الانصراف يقرأ الجميع سورة تبارك، ويعودون إلى بيوتهم.

وكان من تقدير الله تعالى أن يلتحق التلميذ (مصطفى) بالقسم الذي يُدرِّسه الشيخ حسين خطاب ـ رحمه الله ـ وقد حفظ طلاب الحلقة خمسين حديثاً، فسأل الشيخ (حسين) طالب العلم (مصطفى): كم حديثاً تستطيعُ أن تحفظ من الخمسين إلى الغد؟ فقال: أحفظها كلَّها! فظنها الأستاذ ادعاءً ومغالاةً. ولكن الطالب النجيب (مصطفى) جاء في اليوم التالي وقد حفظها جميعاً، فأُعجب الشيخ حسين بهذا التفوق، ونقلَ إعجابه إلى الشيخ (حسن) فأوصى به خيراً.

ولم تمضِ مدة حتى حُبِّبَ للشيخ (مصطفى) طلب العلم، فقرر الانتقال إلى القسم النهاري، وكانت خطوة جريئة، تخالفُ ما تعارفَ عليه الناس، من الإشفاق على طالب العلم، وأنه محكوم عليه أن يعيش حياة العَوَز والكفاف[1]، بل كانوا يطلقون عليه ـ كُلَّاب جنازة ـ أي: يتبع الجنازة، ويتعلق بها، ويرضى بالقليل القليل .. وهي نظرة غوغائية خاطئة، ولكنها مؤثرة وواقعية على المنظور المعاشي القريب.

وأقيمت لطالب العلم (مصطفى) حفلة في بيت الأسرة، حضرها والده وإخوته وأعمامه وزملاؤه، وأُلبس العمة بدلاً عن الطربوش، وقد لفَّها له الشيخ حسين خطاب رحمه الله، وكان متقناً للف العمائم البيضاء، وألقى الطالب المعمَّم (مصطفى) كلمة بهذه المناسبة، وشهد هذا اليوم

---

(١) وهي نظرة خاطئة وقاصرة، لأن الفقر لا يدوم، وحياة طالب العلم الشرعي (الشيخ) غالباً ما تكون سعيدة ومستقرة؛ لما يلتزمه من أحكام الحلال والحرام، والسلامة من التقلبات والمنغصات. وهو يُكوِّن أسرة مستقرة وهانئة، محافظة على الحقوق والواجبات، والمحبة والوفاء، وينجبُ أولاداً صالحين بررة، يتفوقون علمياً وسلوكياً، وقد يترك آثاراً علمية، وكتباً نافعة، ويحوز بذلك خيري الدنيا والآخرة.

تحوُّلاً ظاهراً في اهتمام أفراد الأسرة بأول طالب علم ينبغ من (آل الخن)، فأعلنَ الأبُ رعايته التامة، ومنحَ ابنَه (مصطفى) امتيازاً تاماً، فأوصى إخوانَه الأكبر سناً بتلبية كل طلباتـه، وتأمين كل احتياجاته. ولم تسـتطع الأم المُحبّة للجميع إلا أن تخصَّ طالب العلم بمزيد من الحب والحنان، وأن يعظم هذا في قلبها ويظهر على لسانها دعاء ورجاء من الله تعالى؛ أن يكتب لابنها في طلب العلم التقدم والارتقاء، وقد كان.

* * * *

ثالثاً ـ في جامع منجك[1]، ومعهد التوجيه الإسلامي
(١٣٥٣ ـ ١٣٦٩هـ = ١٩٣٤ ـ ١٩٤٩م)

١ ـ الجمع بين طلب العلم والتعليم:

وشبَّ طالبُ العلم (مصطفى الخن) عن الطَّوْق، وأصبحَ من الطلاب النجباء، متعلِّماً في الصباح، ومعلِّماً في المساء، وشاء الله لهذه الدراسة النهارية أن تصبح نواة لمعهد التوجيه الإسلامي، وأضحى الأستاذ (مصطفى) مدرِّساً في هذه المدرسة الناشئة، والتابعة لجمعية التوجيه الإسلامي، وبدأ مقرُّها في غرف ثلاثة، بُنيت في جامع منجك من الجهة الشمالية.

ولم يكن للدراسة في هذا المعهد أول الأمر زمن مخصوص يتخرَّج فيه الطالب عند انتهائه، بل كانت الدراسة مفتوحة، غير مقيدة بوقت أو شهادة؛ ومن الزملاء في التدريس منذ الافتتاح: الشيخ محمد الحموي الفرا الكسواني ـ رحمه الله ـ والشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني ـ حفظه الله تعالى ـ.

ولا شكَّ أن الجمع بين مهمة التعلُّم والتعليم أسهمَ وأسرعَ في صنع شخصية علمية للشيخ (مصطفى) وإخوانه؛ متينة ومتميزة، وقادرة على

---

(١) هو مسجد جامع، يقع على الجادة في الميدان الوسطاني، في حي الجزماتية، بناه أحد الولاة العثمانيين، ويعتبر من المساجد الأثرية في مدينة دمشق.

التـزوُّد بالنافع والمفيد، ومسـتعدَّة للعطاء والإقـراء. وكان هذا التناغم والتآلف والتكامل يتمُّ بين المهمتين؛ بتوجيه أبويٍّ وإداريٍّ حازم من الشيخ (حسن حبنكة)، يجمعُ بين التربية العقلانية والروحانية، ويجعلُ من دروسه العامة والخاصة، ورئاسته للمعهد والجمعية، طريقاً ممهداً للتقدم والارتقاء، وسبيلاً واضحاً ومتوازناً للأسوة والمحاكاة والإبداع.

٢ ـ رعاية الشيخ (حسن حبنكة) لطلابه:

أفضلُ ما وُصف به الشيخ حسن حبنكة الميداني ـ رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنَّاته ـ أنه عالم ربانيٌّ؛ قرنَ بين العلم والعمل، وبين العلم والتعليم، وبين العلم والتربية.

وقد آتاه الله بسطةً في الجسم[١]، وجمالاً وجلالاً في الطلعة، وهيبةً ووقاراً في المحيّا، وفصاحةً وبياناً في اللسان، كما احتوى عقله الكبير على كنوز من المعرفة، وانطوى قلبه الرقيق على المحبة والإيثار لطلابه جميعاً، فهو يؤثر تعليمهم وتربيتهم على راحته، ويكرمهم إذا حضروا، ويتفقدهم إذا غابوا، ويعاملهم في جميع الأحوال معاملة الأب لأبنائه.

● وكانت حلقة الدرس بين يديه، أن يقرِأ أحد طلابه المتقدِّمين كتابـاً، والشـيخ يحلُّ رموزَه، وفي كثيـر من الأحيـان يطلب مـن أحـد الدارسين أن يأتي بكتـابٍ مصدريٍّ، ليؤكد من خلال القراءة فيه صحـة

---

(١) رأيته مرة في سوق الحميدية في دمشق، مقبلاً من المكتبة العربية (مكتبة آل عبيد) رافع الرأس، شامخَ الأنف، مقبلاً بصدره، ينصبُّ في مشيته، تتمثل في شخصه عزة المسلم، وقوته في دين الله، فتوقفت أراقبه بمحبة وإكبار، حتى غاب عن ناظري، وكان ذلك في آخر سنة من حياته المباركة (١٣٩٨هـ= ١٩٧٧م)، رحمه الله تعالى وأرضاه، وأكرم مثواه.

ما يقول، وكان غرضُه من ذلك أن يُعوِّد طلاَّبه على استخراج المسائل من مظانِّها من الكتب الأمهات.

● وليلة الجمعة كانت مميزة، فالكتاب الذي يُقرأ على مسامع الشيخ هو (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)[1] للقاضي عياض، وكان الشرح وسطاً، يتناسب مع حضور العامة والخاصة، وتستمر القراءة ساعة، وبعدها الإنشاد، والختام بقراءة سورة تبارك أو الواقعة، بشكل جماعي، وبالآيتين من سورة يونس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩ ـ ١٠].

● والطلاب الذين تقدَّموا في طلب العلم، وجلسوا في حلقات الدرس بين يدي الشيخ (حسن) وقرؤوا معه كتباً، وحفظوا متوناً، وتدارسوا حواشيَ وشروحاً؛ هؤلاء الطلاب الخواصّ من واجبهم أن يقرؤوا مع عامة الناس كتباً في التفسير أو الحديث أو الفقه، وفي يوم الجمعة كانوا يتبادلون الخطابة في بعض مساجد الميدان خاصة، ومساجد دمشق عامة، والخطب التي يُلقونها كانت تُكتب لهم في بداياتهم[2]، ثم

---

(١) وبعد تمامه تحولت القراءة إلى كتاب (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي، مع قراءة نص من كتاب (الأمالي) لأبي علي القالي.

(٢) ومن الطُّرَف التي حكاها (أبو محمد) مما كان يقع لبعض هؤلاء المتدربين على الخطابة، أن أحدهم قرأ من الخطبة المكتوبة الآية الكريمة ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح ٢٩]، وكان المكتوب: سيماههم، فقال له أحد المصلِّين: سيماهم. فنظر الطالب الخطيب في الورقة وقال بصوت مرتفع، وعصبية ظاهرة، وهو ينقل بصره بين الورقة والناس: سيماههم! سيماههم!.

يكتبون الخطبة ويعرضونها على المتقدِّمين منهم. . وهكذا حتى يُصبحَ الطالب خطيباً مفوَّهاً يعتمد على نفسه، ويؤثر بخطبه المكتوبة أو المرتجلة في حيِّه ومجتمعه.

● وكانت العطلة الأسبوعية يوم الثلاثاء، وفيه يخرج الطلاب مع شيخهم من الصباح وحتى المساء إلى السيران (النزهة)، وكان مكانه أولاً في بستان حلاوة، في حي نهر عيشة، وقد بني مسجد في المكان نفسه، ثم تحوَّل سيران المشايخ الأسبوعي إلى مزرعة الشيخ (حسن) في منطقة أشرفية صحنايا. ولا يخلو يوم العطلة من بعض القراءة، والرياضة، وبخاصة لعبة السيف والترس، والعلاَّمة المجاهد (الشيخ حسن) هو الأستاذ المدرِّب لهذه اللعبة. وكان الطلاب يطهون الطعام، ويُحضِّرون المائدة، وكل ذلك يتم بإشراف مباشر من الشيخ، وبتوجيهات عادلة للجميع. وكانت عاطفة الأبوة والرحمة والمحبة تتجلى في نظرات الشيخ وكلماته، والتعاون والإيثار يتبادله الطلبة من غير تكلُّف ولا تزلُّف.

ويُعلِّق شيخنا (أبو محمد) على النشاط الأسبوعي في (جامع منجك) ليلاً ونهاراً، مفتتحاً بيوم الأربعاء ومختتماً بيوم الثلاثاء، فيقول: لقد كنا نعيش في أسرة واحدة وفي جنَّة حقاً.

● وكان الشيخ العلاَّمة (حسن حبنكة) يُرشد طلاَّبه النابهين والمتفوِّقين، أن يزوروا العلماء الكبار، وأن يجلسوا إلى بعض حلقات دروسهم؛ كالشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ علي الدقر، والشيخ سعيد البرهاني، والشيخ إبراهيم الغلاييني، والشيخ عبد القادر الإسكندراني - رحمهم الله جميعاً - وهذا يدلُّ على اعتداد الشيخ بعمله العلميّ، وثقته بطلابه، وارتباطه المخلص بجميع العلماء العاملين في حقل التعليم والدعوة والإصلاح. وقد سمعنا من أستاذنا الشيخ (مصطفى) ذكريات

رائعة عن لقاءاته المثمرة والمؤثِّرة مع المشايخ العظام الذين عاصروا الشيخ (حسن) في دمشق الفيحاء.

وأقتصر على ذكر أربعة مواقف خالدة لعلماء ربَّانيِّين، رآها (أبو محمد) ببصره وفؤاده، وسجَّلها بقلمه ولسانه، وجعلها ذكرى لطلابه الذين يسمعونه بعشق، وللأجيال القادمة من طلَّاب العلم، الذين سيقرؤونه بأمانة وصدق:

أولاً ـ الشيخ علي بن عبد الغني الدقر المتوفى (١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣م):

وهو شيخ شيوخي في معهد العلوم الشرعية، ورئيس الجمعية الغرّاء ومؤسسها، عالمٌ دمشقيٌّ ربَّانيٌّ، جمع بين التعليم الشرعي، والتربية الروحية، وأوجد مدرسة تُحتذى في التخلُّق بأخلاق الإسلام، مع العلم والعمل، والوعظ والإرشاد، والإصلاح والجهاد. وكان همّه إعداد الخطباء والدعاة، وإيجاد الرجال المخلصين في خدمة الدين ونشر العلم، مع اليقين بالله، وأنه سبحانه لا يُضيع أجر المحسنين.

وقد حضر أستاذنا (أبو محمد) بعض دروس الشيخ علي الدقر العامة، وسجَّل الموقف التالي:

«إنَّ الدعوةَ إلى الله تفتقر إلى إعداد روحي، وخلوة مع الله تعالى، حتى يكون الكلام منبعثاً من الروح والقلب، ليحلَّ في الروح والقلب.

وإنني أذكر بهذه المناسبة موقفاً لشيخ من شيوخ دمشق، كتب الله على يده نشر العلم في سورية وما حولها من البلدان: الأردن، ولبنان، وتركية، وفلسطين ـ أعادها الله إلى المسلمين، وهم في عزّة وقوة ووحدة واستقرار ـ وغير ذلك من البلاد؛ هذا الشيخ هو الشيخ علي الدقر تغمَّده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته.

كان هذا الشيخ الوقور يلقي درساً بعد صلاة الفجر في مسجد غير متّسع[1]، وكان المسجد يغصُّ بالمصلين الحاضرين لاستماع درسه، حتى إن كثيراً من الناس كانوا يبسطون الحصر في الشارع، ليستمعوا إلى مواعظه وإرشاداته.

وكنت ـ وأنا صغير السِّن ـ آتي قبل الفجر من مكان بعيد، لأستمعَ إلى هذا الدرس، وكان كلامه يفعل في النفوس ـ كما يقولون ـ فعل السحر، مع بساطة التعبير. حتى إن بعض الناس ممن لم يتسع لهم المسجد لامتلائه، ولم يكن هناك مكان يخوِّله أن يسمع من الشيخ ما يقول، كان يكتفي بالنظر إلى الشيخ من بعيد، ودموعه تنهمر من عينيه رقةً وتأثراً. وكان كلامُه يخرج إلى حيز التطبيق فور انتهائه من هذا الدرس، وإنني مع كثرة من التقيتُ به لم أرَ هذا التأثير إلا في القليل النادر.

قال له واحدٌ من تلاميذه يوماً: إننا نلقي على الناس دروساً متنوعة، ولا نرى في الناس هذا التأثير الذي نلمسه في درسك! ولا نرى إقبالاً من الناس مثل هذا الإقبال غير الطبيعي! مع أننا نتحدَّث بالتفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، وغير ذلك!.

أجاب الشيخ بقوله: يابني! لولا الحاجة لم أتكلّم، إنَّ هذا الدرس الذي تسمعه مدعوم بقراءة عشرة أجزاء من القرآن قبل الفجر، بقصد أن ينفع الله المسلمين بما أتحدَّث به»[2].

---

(١) هو جامع السادات الواقع في مدخل شارع مدحت باشا في دمشق، وسُمي بالسادات لوجود بعض قبور الصحابة الكرام فيه. والله أعلم.

(٢) تقديم الأستاذ الدكتور مصطفى الخن لكتاب (أبو الحسن علي الحسني الندوي: الإمام المفكّر الداعية الأديب)، ص٨ـ١٢.

ثانياً ـ الشيخ محمد أمين سويد المتوفى (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م):

وهو عالم مشارك، وأصولي بارع، ومن كبار علماء دمشق، طلب العلم في الأزهر الشريف، وعمل مدرِّساً في معهد الحقوق (كلية الحقوق)، وفي مواقع علمية عالية عديدة، واتصف بالزهد والتواضع، ونشر العلم والفضيلة، والبعد عن الشهرة والرياسة، ومن تلاميذه: الشيخ أبو الخير الميداني، والشيخ علي الدقر، والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، والشيخ محمد الهاشمي، والشيخ حسن حبنّكة ـ تغمَّدهم الله جميعاً برحمته ـ.

التقى به الشيخ (مصطفى) وسجَّل الموقف الآتي:

«لقد أكرمني الله سبحانه برؤية هذا العالم الجليل، والجلوس إليه، وكنت آنذاك حديث السِّنِّ، وفي بدء طلبي للعلم، وقد كنت شرعت في طلب العلم وسنّي لا تتجاوز الثانية عشرة ـ فيما أعتقد ـ وقد كان ـ رحمه الله ـ يتردَّد على محلّة الميدان كثيراً، ويأتي وقت الصلاة إلى جامع منجك، وكان هذا الجامع هو المكان الذي نلتقي فيه بشيخنا العالم الكبير الشيخ محمد حسن حبنّكة الميداني، وندرس عليه فيه، وكنا قد بنينا فيه غرفاً صغيرة من خشب وطين نأوي إليها، هذه الغرف وهذا المكان هو الذي تحوَّل فيما بعد إلى معهد بات يُسمَّى (معهد التوجيه الإسلامي) الذي تخرَّج منه ودرَّس فيه أفاضل العلماء، من أمثال: شيخ القرَّاء الشيخ حسين خطاب رحمه الله تعالى، وشيخ القرّاء الحالي الشيخ محمد كريّم راجح، والدكتور محمد سعيد ملا رمضان البوطي، والدكتور مصطفى ديب البغا، والشيخ الفاضل محمد خير ياسين عليه رحمة الله، والشيخ محمد صادق حبنكة الميداني أخي الشيخ، والشيخ عبد الرحمن حبنكة ولد الشيخ، الذين أصبحوا فيما بعد ملجأ طلاَّب العلم في شتّى العلوم.

وكان الشيخ **محمد أمين سويد** ـ رحمه الله ـ ربما يدخل إلى الجامع المذكور بين صلاتي المغرب والعشاء، فيجد طالباً من طلاّب العلم المبتدئين قد جلس إلى العامَّة، فيجلس إليه كأنه أحد العامَّة المستفيدين، ويُظهر تأثره وإعجابه بهذا الطالب المبتدئ، حتى إنَّ الداخل إلى الجامع لا يحسبه إلا أحد العامَّة الذين جاؤوا ليقتطفوا موعظة تنفعهم في دينهم وأخراهم.

وهذا منه غاية في التواضع وهضم النفس ـ رحمه الله تعالى ـ. هذا وأحب أن أسجّل أنَّ شيخنا فضيلة العالم المجاهد الشيخ محمد حسن حبنَّكة الميداني هو واحد من الذين تخرَّجوا على يد هذا العالم الكبير، ودرس عليه الأزمنة الطويلة، وكان شيخنا يُجلّه ويعظّمه، ويكنُّ له أسمى معاني التقدير، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه»[1].

ثالثاً ـ الشيخ إبراهيم بن محمد خير الغلاييني المتوفى (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م):

وهو عالم عابدٌ ناسكٌ، معروفٌ ومشهور، له عند الناس مكانة مرموقة، وفي نفوسهم محبة ومهابة.

شيخ قضاء وادي العجم، وخطيب وإمام مدينة (قطنا) وهو المفتي الورع، والوجيه المحبوب، وصاحب الرأي المسموع، والذكر الطَّيِّب، والكرامات الكثيرة.

كان الشيخ (أبو محمد) يزوره مراراً، بحكم العلاقة الحميمة التي

---

(١) ترجمة المؤلف العلاَّمة محمد أمين سويد في كتاب (تسهيل الحصول على قواعد علم الأصول) بقلم الأستاذ الدكتور مصطفى الخن، ص١٧ ـ ٢٠.

تربط الشيخ إبراهيم بالشيخ حسن حبنَّكة، كما أنَّ الأستاذ الدكتور محمد أديب صالح تلميذ الشيخ إبراهيم ـ الذي أحبَّه ورعاه، وزوَّجه ابنته ـ صديق (أبي محمد) ورفيق دربه بدءاً من تعارفهما في جامع الدقاق، وخلال العمل في مهنة التدريس الثانوي والجامعي.

وقد حكى لنا أستاذنا (أبو محمد) من حياة الشيخ إبراهيم الغلاييني الموقف التالي:

«تكررت زيارتنا مع بعض الإخوة إلى فضيلة الشيخ الربَّاني إبراهيم الغلاييني في قطنا، ولكني لا أنسى زيارة بعينها استمرّت يوماً كاملاً، حيث وصلنا إلى منزل الشيخ في (قطنا) بعد صلاة الظهر، فوُضعت المائدة، وأكلنا مع جميع الحاضرين، ومن المعروف والمعتاد أن الطعام يُوضع في كل يوم بعد عودة الشيخ من صلاة الظهر في المسجد، ومن كراماته المتحققة، أن الطعام الموجود يقدَّم من غير تكلُّف، فيكفي الموجودين مع أهل البيت، ويزيد. ومن عادة الشيخ التي لا يتركها أن يصطحب معه أرغفة من الخبز، يفتها للكلاب وهو في طريقه إلى المسجد، لأداء صلاة الفجر. والجميع من مُحبِّيه يعرفون كرمه المتأصل في نفسه، فهو لا يُسأَل شيئاً إلا أعطاه، ولو طُلبت منه عباءته أو جبَّته لخرج عنها؛ اقتداءً برسول الله ﷺ.

وفي تلك الزيارة المباركة، أخَذَنا معه إلى قرية (عرنة) في جبل الشيخ، وعلى مشارف البلدة، تُوجد كنيسة، ما إن وصلنا أمامها، حتى وجدنا رجل الدين (الخوري) المسؤول عنها، قد أعدَّ القهوة، ووقف ينتظر وصول الشيخ (إبراهيم) بعد أن علم بخروجه من (قطنا). وتقدَّم مرحِّباً ومسلِّماً، فاستأذنه الشيخ (إبراهيم) بالصلاة عنده في الكنيسة،

وكان يخاطبه ويقول له: «يامحترم». فرحَّب الرجل، وأخذ يصدر أوامره، ويُشارك بإحضار الماء للوضوء، وإعداد المكان للصلاة. وفي قبلة الصلاة كانت صورة معلَّقة على الجدار للسيدة مريم العذراء، فأراد أحدُ الطلبة أن يرفع الصورة أو أن يقلبها، فغضب الشيخ (إبراهيم) وقال له: دعها يابني في مكانها، وتوجَّه بقلبك إلى الله! واعلم أننا لم نحضر إلى هنا للإساءة، وإنما حضرنا لإدخال السرور والإحسان لكل من استقبلنا وأكرمنا.

وفي تلك الليلة عدنا متأخرين، ونمنا، وبقي الشيخ راقداً في سريره، ولم يقم لصلاة الليل، مع أنها كانت عادته، حتى لا يُحدث جَلَبَةً توقظنا، واستمرَّ ساكناً يقرأ وِرْدَه، حتى أيقظنا قبل الفجر بقليل، رحمه الله، وجمعنا به في مستقر رحمته، حيث نلقى الأحبّة، محمداً وصحبه».

رابعاً ـ الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الحيّ الحسني الندوي المتوفى سنة (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م):

عالم علاَّمة، ومؤلف مبدع، وخطيب مؤثِّر، أديبٌ هنديٌّ، يُتقن العربية أكثر من أهلها، وهو عضوٌ في العديد من مجامع اللغة العربية، وكتاباته الدعوية تمثّل كاتباً مكلوماً، يدعو إلى صحوة إسلامية تُنقذ العالم من كبوته وتخلُّفه وانحطاطه. كتبه مباركة ومنتشرة، تربَّينا عليها في مرحلة الدراسة والطلب.

لقيه الشيخ (مصطفى) في القاهرة الأبيّة، ثم في دمشق المحميَّة، وسجَّل الموقف الشاهد التالي:

«إنَّ من العلماء مَنْ إذا نظرتَ إليه ملأ عينكَ هيبةً وقلبكَ أُنساً ومحبَّة، وعقلكَ معرفةً ويقيناً، ونفسك خشية، وفضلاً وعلماً.

والسيد أبو الحسن الندوي واحدٌ من هؤلاء العلماء الأعلام، كان

أوّل لقاء لي بـه عندما كنت طالباً في الأزهر عـام (١٩٥١م) حينمـا زار القاهرة، ولـم يرد أن يُخلي زيارته لمصر من الدعوة إلى الله تعالى وتبصير طـلاب العلـم بما يجبُ عليهم تجاه دينهم وأمّتهم، فطلـب أن يجتمـع بطـلاب العلم الـوافدين من البلاد الإسـلامية، فاجتمعوا، فـألقى فيهم محاضرة قيّمة، ملؤها الإخلاص وحُسن التوجيه، ولم أكن أنا قبل ذلك الـوقت قد التقيتُ بالشـيخ أبي الحسن، ولكنَّ شـهرته قد عمَّـت العالمَ الإسلامي، ومؤلفاته قد تناولها بالقراءة العام والخاص، وانتشرت انتشار النور على سطح الأرض، وتلقَّاها أرباب الفكر الإسلامي بشغف، وعكفوا على دراستها وتوضيح مضمونها.

لقد كانت تلك المحاضرة يتجلَّى فيها إخلاص العالم لدينه، وحرصه على بذل ما أنعم الله به عليه من علم وقدرة على التوجيه، وجذب قلوب المستمعين إليه، وتأثّرهم بما قدَّمَ إليهم من فوائد ونصائح، فلم تنقضِ المحاضرة إلا وقد عزم كلّ واحد من الحضور أن يكون داعيةً إلى الله سبحانه وتعالى، على علمٍ وبصيرة وإخلاص.

كان هذا هو اللقاء الأول بأبي الحسن، وأما اللقاء الثاني، فكان عندما دعته جامعة دمشق لإلقاء محاضرات فيها. وكنتُ آنذاك مدرّساً محاضراً في كلّية الشريعة.

ولقد ظنّت جامعة دمشق أن الشيخ أبا الحسن شأنه شأن كثير ممن يُدعى لإلقاء محاضرات فيها، فيتجلّى فيها عند ذلك ما يعرف عنها من تكريم وإكرام، فتنزله في نزل لائق، وتُغدق عليه ما عُرف عنها من ترحيب وإكرام.

ولكن موقفاً غير متوقع قد حصل، مما لم يكن له سابقة فيما أعلم

في حياة الجامعة السورية. وذلك أن الشيخ (أبا الحسن) حفظه الله أبى أن ينزلَ في نزل مهما كانت مكانة هذا النزل، بل اختار أن ينزل في غرفة متواضعة في بيت من بيوت الله تعالى، الكائن في منطقة الحلبوني، وماذاك إلاَّ ليهيِّئَ نفسه للقيام بالمهمة التي هيأ نفسه للقيام بها، ألا وهي الدعوة إلى الله تعالى بالروح لا باللسان فحسب.

ألقى الشيخ (أبو الحسن) محاضراته القيّمة، ولم يكن هدفه أن يملأ فراغاً، بل كان يلتمس الأمور التي كان المستمعون وغيرهم بأمسّ الحاجة إليها. فكانت هذه المحاضرات كما تحوي العلم الجمَّ والفهم العميق لمقاصد الدين الإسلامي، كانت تحوي التوجيه والإرشاد، والنصح للأمة الإسلامية جمعاء، فكان فيها الإنسان المعلم والمخلص الناصح الواعي.

في هذه المحاضرات لم يكن لسانه هو الذي يتكلّم فقط، بل كانت روحه المشعّة تسيطر على أرجاء قاعة المحاضرات في الجامعة السورية، ولمكانة هذه المحاضرات العلمية والروحية، سُجِّلَتْ ووُضِعَتْ في كتاب، ونُشرت لتكون مناراً يُهتدى به في العالم الإسلامي جميعه.

في هذه الزيارة اقترح ـ رحمه الله ـ أن يأخذني مدرّساً في جامعة الهند، وكلَّم في ذلك وزير التربية آنذاك، فما كان من الوزير إلا أن استجاب لذلك، ودعاني إليه ليتبيَّن موافقتي على ذلك، فلم يكن مني إلا تمام الموافقة، ولكن أموراً أجهلها حالت بيني وبين القيام بهذه الخدمة الإسلامية المهمة، والله يحكم لا مُعَقِّبَ لحكمه، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكم كان بودِّي لو تمَّ هذا الأمر.

وكان آخر لقاء لي مع الشيخ أبي الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ في بيت شيخي وأستاذي ومربيَّ فضيلة الشيخ محمد حسن حبنّكة الميداني تغمَّده

الله بـرحمته، فقد دعاه شـيخنا إلى بيتـه لتناول الغداء، وليـس المقصود تناول الغداء، ولكن المقصود إيجاد فرصة للقاء مع الشـيخ، في مجلس لم يحضره من إخوان الشيخ إلا عدد قليل.

لا أستطيع أن أصف تلك الجلسة الممتعة، التي لن أنساها مادمت حياً، فقد كان فيها من الأنس والصفاء ما لا يستطيع اللسان أن يعبّر عنه، إذ إنَّ اللغات مهما اتّسعت فلن تستطيع وصف المعاني الروحية، وتجعلها بحيث يتذوّقها المستمعون، مهما أوتي المتكلّمون من بيان»[1].

٣ ـ العلوم التي برعَ بها ودرسها:

بدأ الشابُّ (مصطفى الخن) التدريس في معهد (التوجيه الإسلامي) في جامع منجك وعمره عشرون سنة، وهو أول من أدخل اللوح (السبورة) لتدريس مادة الحسـاب، مسـتوى الإعدادي، وكان يسـتخدم الوسائل السمعية والبصرية المتاحة، ويذكر مرَّة أنه أخذ قشَّة، وجعل منها مربَّعاً؛ ثم ضغط على كل من الضلعين المتلاصقين، فأصبح الشكل معيناً.

وكان الطلاب يجلسون على الأرض، وتستمر الدراسة من الساعة (٧) إلى أذان الظهر.

وقد درَّس مادة التعبير (الإنشـاء)، وتنبـأ من موضوع كتبه الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ـ حفظه الله تعالى ـ أنه سيكون كاتباً إسـلامياً، وتنبأ للأسـتاذ محمد محمد الخطيب من خـلال موضوع إنشائي أنه سيكون سياسـياً بارعاً، وقد تحقق لهما ذلك فعلاً.

---

(١) تقديم الأستاذ الدكتور (مصطفى الخن) لكتاب (أبو الحسن الندوي) ص٩ ـ ١٠.

ودرَّس كتاب (شرح قطر الندي) و(شرح شذور الذهب) في النحو عدة مرات، وقد شارك الأستاذ (مصطفى) في جميع العلوم الشرعية، ولكنه تخصَّص في النهاية وتميَّز عن أقرانه بعلم أصول الفقه، وبعلوم العربية، وبخاصة (النحو) وحفظ أبواباً كثيرة من الألفية[1]، ولايزال يستحضرها إلى الآن، وهو معجبٌ بابن هشام وتآليفه، ويعتبره مبدعاً في تسهيل النحو، وفلسفته، وإجادة عرضه.

● ونظم الشيخ (مصطفى) الشعرَ، وحاكى شيخه، وزملاءَه في الطلب والتعليم، ممن ينظمون الشعر، وينشدونه في المناسبات، وكانت له مقطوعات وجدانية، كل منها يتألف من عدة أبيات، كان المؤذنون ينشدونها في وداع رمضان، وقد ضاع أكثرها، ومنها:

عزمَ الصِّيامُ على الرَّحيلِ فَودِّعُوا　　شَهرَ الصِّيامِ بأدمعِ الأشْواقِ

ـ ومما قاله في الاعتبار بالماضي:

سِجلُّ ماضيكَ سِفْرٌ تستعينُ به　　في شأنِ وقتِك من حالٍ ومُنْتظَرِ
ارجعْ إليهِ ففي طَيَّاته عِبَرٌ　　تبدو لِعَيْنَيْكَ في شتىٰ من الصُّورِ
ما إنْ رجعتُ إليهِ عِندَ نَازلةٍ　　إلاَّ وزالَ ظلامُ الشَّكِّ عن بَصري
مَنْ لا يكونُ لهُ ممَّا مضَى قَبَسٌ　　هوَىٰ على رأسهِ في مَزْلقِ الغُرَرِ

ـ ومما قاله في أن خير الأمور الوسط:

---

(١) ألفية ابن مالك. وللشيخ (مصطفى) قناعة موضوعية: أن كتاب (أوضح المسالك) يمتاز بعرض قواعد النحو من خلال الكليات لا الجزئيات، وأن شيخه (الشيخ حسن حبنكة) رحمه الله تعالى هو أول من أظهر في دمشق أهمية هذا الكتاب، وكشف عن أسراره وفوائده.

لا تَطْلُبَنْ أعلىٰ المراتبِ إذْ مَتىٰ ... ما صرتَ في أعلىٰ المنازلِ تنزلِ
إنَّ البدورَ إذا تكاملَ حجمُها ... وجمالُها عادتْ لأوَّل منزلِ
فاخترْ لنفسِكَ منزلاً متوسِّطاً ... واقنعْ به دَوْماً تفزْ بالأفضلِ

ـ ومما قاله في وصف الربيع:

ضحكَ الأقاحُ لقولِ الزَّهْر مبتسماً ... جاءَ الربيعُ وأشرقَ المنثورُ
والنَّهْرُ صَفَّقْ والأشجارُ راقصةٌ ... لمَّا تغنَّىٰ على الأغصانِ شحرورُ

ولقد قام بتخميس البيتين المشهورين: يا آل طه عليكم حملتي حسبت.. فقال:

انْزِلِ بسوحِ بني طٰه فَما تَرِبَتْ ... يَدا نَزيلٍ عَلىٰ أبوابِهم طَرَقَتْ
ونَادِهم مُخلِصاً إنْ أزمةٌ نَشِبَتْ ... يا آل طٰه عَليكم حَمْلَتي حَسبَتْ
إنَّ الفقيرَ علىٰ الأجوَادِ مَحْمولُ

يا آلَ بيتِ رسولَ اللهِ حَسْبُكُمُ ... أَنْ أنزَلَ اللهُ في القُرآنِ طُهرَكُمُ
أنتُم ملاذي فَلا أَلوي لِغَيْرِكُمُ ... وَجِئتكُم بانْكِسارٍ نَحوَ حَيِّكُمُ
أرْجُو القَبُولَ فَقُولوا أَنْتَ مَقْبُولُ

وله شعر كثير قد ضاع حين سافر إلى القاهرة لطلب العلم.

● وللشيخ (مصطفى) غرفة خاصة في جامع الدقاق[1]، تقع على يسار الداخل من الباب الشمالي الغربي، وقد شهدت تاريخاً حافلاً، ولو

---

(١) ويقع في الميدان الفوقاني، شرقي الجادة، وعلى بعد خمسين متراً، وهو مسجد أثري.

نطقت لأخبرت بنشاط علمي غزير، اختلط فيه التعلُّم بالتعليم، والحفظ بالتدريس، وكانت الحياة العلمية تبدأ فيها أحياناً بعد صلاة الفجر مباشرة، وتمتد إلى ما بعد صلاة العشاء، وتحتوي على سرير للنوم، ومكتبة عامرة بالكتب الأمهات والمصادر.

وممن سجَّل حضوراً في هذه الغرفة:

- الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- الأستاذ الدكتور موفق دعبول.
- الأستاذ أحمد راتب النفاخ.
- الأستاذ الشيخ سعيد الطنطاوي.
- الشيخ عبد العزيز الرفاعي.
- الدكتور محمد الصباغ.
- الأستاذ صالح الأخرس.
- الأستاذ محمود المارديني.
- الأستاذ سهيل البري.
- الأستاذ أحمد عرابي الخن.
- الأستاذ علي الشربجي.
- الشيخ خير علبي.

رحم الله من توفي منهم، وبارك الله بمن بقي على قيد الحياة.

* * * *

رابعاً ـ السفر إلى مصر (الإجازة في الشريعة من الأزهر)

(١٣٦٩ ـ ١٣٧٢هـ) = (١٩٤٩ ـ ١٩٥٢م)

● اعتمدت الحكومة السورية تدريس مادة التربية الإسلامية في المدارس الإعدادية والثانوية، وطلبت وزارة المعارف مدرِّسين مختصِّين في الشريعة، فسافر عدد من الطلاب السوريين إلى القاهرة، وانتسبوا إلى الأزهر للحصول على شهادة الإجازة (الليسانس) التي تؤهلهم للتدريس.

وسافر عدد من طلاب الشيخ (حسن حبنكة) ـ رحمه الله تعالى ـ واقتنع الشيخ (مصطفى) بضرورة السفر، وبخاصة بعد وفاة والدته، التي كانت متعلِّقة به تعلُّقاً يستحيل معه أن يفكر بالسفر، براًبها، وإحساناً إليها.

وعندما علم الشيخ (حسن) بما يجول في فكر تلميذه المتميز النجيب، ناداه وقال له على انفراد: أما وعدتني يا شيخ (مصطفى) أن تبقى معي، وأن تساعدني في تعليم الطلبة في معهد التوجيه؟ فأجابه الشيخ (مصطفى) وقد استجمعَ كلَّ ما يملك من جرأة وبيان، وبأدب جم واحترام صادق: إن (مصطفى) الذي وعدكَ يا فضيلة الشيخ هو غير (مصطفى) الذي يقف أمامك الآن.

قال الشيخ (حسن) وماذا تغيَّر؟

قال الشيخ (مصطفى): لقد أصبحت تنتظرني مسؤوليات كثيرة، وواجبات جسيمة.

فقال الشيخ (حسن) مبتسماً: إنني أثق بعقلك، وإنك لا تفعل إلا ما تراه صحيحاً، فعلى بركة الله، وعندما يحين موعد السفر أعلمني.

وقبل السفر بيوم واحد جاء الشيخ (مصطفى) إلى بيت الشيخ، فأعطاه مبلغاً من المال يكفيه في ذهابه وإيابه ومدة إقامته، وزوَّده بالدعاء، وأوصاه بالمثابرة والاجتهاد!.

● وفي مطلع عام ١٩٤٩م وصل الشيخ (مصطفى) إلى القاهرة، وأجرى اختبار قبول في جامعة الأزهر، وقُبل في السنة الثالثة من كلية الشريعة، وصادف وجود الدكتور معروف الدواليبي في القاهرة، وفي زيارة للأزهر، فقال العميد[1] لضيفه: إن الشيخ (مصطفى) يستحق بنتيجة امتحانه الذي أجراه أن يُمنح شهادة الإجازة (الليسانس) مباشرة، ولكن القانون لايسمح إلا بتجاوز سنتين من الدراسة، ومطالبته بدراسة مقررات سنتين، وأنا آسف لأني لا أستطيع مساعدته، وأنا معجب بتحصيله العلمي، وغنى ثقافته، ومتانة استحضاره لمحفوظاته. ولم ينس الشيخ الدواليبي ـ حفظه الله تعالى ـ هذا الموقف فاقترح انتدابَ الشيخ (مصطفى) للتدريس بكلية الشريعة من جامعة دمشق ابتداءً من عام ١٩٥٥م حينما أسست كلية الشريعة في جامعة دمشق.

● وأمضى الشيخ (مصطفى) مدة الدراسة في سنتين، واستحقَّ في عام ١٩٥٢م شهادة (الإجازة) من الأزهر الشريف بالقاهرة، بتقدير متفوِّق.

وترسَّخت في ذاكرته موادُّ تخصُّصه من الفقه وأصوله، وعلوم العربية ونحوها، وتعرَّف على علماء أفذاذ في الأصول واللغة، وكم

---

(١) هو الشيخ (عيسى مَنُّون) رحمه الله تعالى.

حدَّثنا عن العميد، مؤلف كتاب (النبراس في القياس)، وعن الدكتور (عبد الله موسى) وهو أصوليٌّ متمكِّن، ويُحاضر باللغة العربية الفصحى[1]، والدكتور مصطفى عبد الخالق، وأخيه الدكتور عبد الغني عبد الخالق، وهما عالمان جليلان، مشاركان في العلوم الشرعية؛ ولكنهما متخصصان في علم أصول الفقه، وقد امتدحَ الدكتور (مصطفى) مراراً، علمَهما الغزير وأدبهَما الجم، ولطفهما الظاهر. وبيتُهما في حيٍّ السيدة نفيسة بالقاهرة ـ وقد زرته بمعيّة (أبي محمد) في عام ١٩٧٧م ـ يدلُّ على عراقة ووجاهة.

كما تزوَّد الأستاذ الشيخ (مصطفى) من خلال سفراته إلى مصر بثقافة إسلامية عالمية، ومنهجية واضحة في الطريقة والهدف، ومسلك تربوي صادق في الفكرة والتطبيق، وكم أفاد الشيخ (أبو محمد) ـ حفظه الله ـ أمته المسلمة خلال حياته المباركة من التخصُّص المتين، والثقافة المتسعة، والمنهجية المتسقة والمبسطة، والتربية العملية والتطبيقية.

* * * *

(١) وحكى لنا عن شيخ أزهري مشهور، يملك القدرة العجيبة على الانتقال المفاجئ ـ وفي لمح البصر ـ من الهزل إلى الجد. وفي إحدى المحاضرات كان يذكر بعض الفكاهات، إذ دخل عليه وفد زائر من العلماء الكبار، فشرع في تقرير محاضرته، يعرض المسائل بنصوصها، ويُفرِّع منها، ويُحدد الأدلة عليها، ويقوي أو يضعف حجج الخصوم، وكأنه يقرأ من كتاب!.

خامساً ـ العمل في وزارة التربية مدرساً

(١٣٧٣ ـ ١٤٠٢هـ) = (١٩٥٢ ـ ١٩٨١م)

● رجع الشيخ (مصطفى) إلى دمشق، وتقدَّم بأوراقه الثبوتية إلى وزارة التربية، فعُيِّنَ مدرساً لمادة التربية الإسلامية، في منطقة (الباب) من محافظة حلب، واصطحب معه زوجته (أم محمد) ـ حفظها الله وعافاها ـ وبقي هناك سنتين دراسيتين. ومما يتذكره عن تلك الفترة، أن راتبه الشهري كان حوالي (٣١٠) ل. س، يُنفق منها حوالي (١٥٠) ل. س، ليعيش حياة كريمة ولائقة، ويدفع منها أجرة دار للسكن مكونة من أربع غرف (٢٥) ل. س، ويدخر شهرياً من راتبه قرابة (١٦٠) ل. س.

وهذا يؤكد أن الموظف كان يتقاضى مرتباً، يتناسب مع جهده وعلمه، وتكاليف الحياة من حوله، مما يضمن صدق عطائه لأمته، وكرامة نفسه في مجتمعه.

● وفي دمشق عُيِّن مدرساً في دار المعلمين والمعلِّمات، وانتدب لتدريس بعض المواد في كلية الشريعة من جامعة دمشق كأستاذ محاضر من عام (١٣٧٥ ـ ١٣٨٢هـ) = (١٩٥٥ ـ ١٩٦٢م)، فدرَّس مصطلح الحديث، والأصول، والفقه المقارن، ثم أعير إلى المملكة العربية السعودية، ولمدة أربع سنوات مدرِّساً في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من عام (١٣٨٢ ـ ١٣٨٦هـ) = (١٩٦٢ ـ ١٩٦٦م)، ثم عاد إلى دمشق، مُدرِّساً في ثانوياتها، وبقي حتى حصوله على شهادة الدكتوراه.

● وكان الأستاذ (مصطفى) بحق مدرِّساً وقوراً ومؤثِّراً وناجحاً، في معايير طرق التدريس الحديثة كلها، لقد ترك في ثانوية بلدة (الباب) أثراً طيباً لا يُنسى من الناحية العلمية والمسلكية، إنه الآن في عالم التدريس يدخل إلى مدارس منظمة ومنضبطة، وإلى فصول (صفوف) مجهَّزة بألواح ومقاعد، وضمن أوقات يومية وشهرية وسنوية محدَّدة، ومواد دراسية متنوعة. ورصيد ماضيه في جامع منجك، وتربية أستاذه الشيخ (حسن حبنكة) وممارسته التدريس في معهد التوجيه الإسلامي، كلها مقدمات تؤدي إلى عطاء ملفت، ونجاح ظاهر ومطرد، في كل ثانوية درَّس فيها.

وضبط الطلاب في الصف كان ولا يزال هو مَحَكُّ النجاح أو الإخفاق في مهنة التدريس، والمدرس الناجح بحصافته وموهبته بطل متوَّج، يخرج من حصصه منتصراً ويدخل منتصراً، ولاشك أن الزاد العلمي والتحضير المسبق يزيد العمل سلاسة، ويزيد الطلابَ تعلُّقاً وانضباطاً.

وكان الأستاذ (أبو محمد) يدخل إلى الصف لأول مرة، وفيه كوكبة من المتفوِّقين، وجمهرة من المشاغبين، فلا تمض دقائق خمس، إلا وقد انجذب الجميع إلى كلامه الهادئ وصوته الرخيم، يخرج سلساً عذباً، فيصافح الأسماع والقلوب، ويُحرِّك المشاعر، ويفرض الحبَّ والاحترام.

ولقد زرته في دار المعلمين بدمشق، فرأيت الطلاب يرافقونه بعد انتهاء الحصة إلى غرفة المدرسين، بعضهم يسأل، وأكثرهم لا غاية لهم إلا أن تبقى أبصارهم ترى بسمته العذبة، وأن تبقى أسماعهم تستقبل صوته الهادئ، وتسمع تعليقاته الحلوة وأجوبته المُفْحِمَة، وأمثلةَ الحياة الشاهدة.

ودخلتُ إلى صفٍّ في ثانوية ابن خلدون، وكان العدد كبيراً يزيد على الخمسين، وهم طلاب في الثاني عشر العلمي، واستطعت من خلال

الباب المفتوح، وقبل أن أصل إلى مكتبه، أن أقرأ في عيون طلابه التقديرَ والإعجاب، وأن أرى في توجههم إليه التأثر والانبهار، وقد قطع دخولي عليهم متعة الإصغاء إلى كلام أستاذهم، وقد ملك حواسَّهم، ووصل إلى سويداء قلوبهم، وبدا ذلك على وجوههم.

● ولم يقتصر النشاط العملي في وزارة التربية على الأداء الوظيفي المتميز في السنوات الدراسية العديدة، والتي تخرَّج فيها على يدي الأستاذ الشيخ (مصطفى) أجيال من الطلاب والطالبات، بل تعدَّى ذلك إلى فاعلية مؤثرة في مجالات ثلاث، هي المناهج، والكتب، والامتحانات.

١ ـ المناهج:

كان الأستاذ (عبد الرحمن الباني) مفتش التربية الإسلامية في سورية كلِّها، يحمل هذا الجهد العظيم بصبر وإخلاص[1]، ويتصدَّى للظروف المحيطة والمحرجة بحلم وأناة، واكتشف في الأستاذ (مصطفى) علمه الواسع، ومنهجه الواضح، ومسلكه القويم؛ فدعاه إلى بيته، وأشركه معه في وضع مناهج للتربية الإسلامية في جميع المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية. وبعد إنجاز هذا العمل التربوي الفائق، أصبح كل منهما ينسب العمل إلى صاحبه، وهذه هي سمة العلماء الأعلام.

وشارك الأستاذ الشيخ (مصطفى) في وضع مناهج التعليم الشرعي، للثانويات الشرعية التابعة لوزارة الأوقاف، ويشتمل ذلك على المرحلتين

---

(١) وصف شيخنا (أبو محمد) الأستاذ عبد الرحمن الباني ـ حفظه الله تعالى ـ بعد رفقة طويلة، ومهمات علمية عديدة، فقال: إنه يؤدي ما كُلِّف به بدأبٍ وإتقان، ثم لايُريد أن يُنسب إليه شيء مما أنجزه!! إنها الإرادة المنتصرة في محاولة إنكار الذات.

الإعدادية والثانوية، وهو المعمول به إلى الآن. وشارك أيضاً في وضع مناهج التعليم لمعهد أبي النور الإسلامي بمرحلتيه الإعدادية والثانوية. وهذه المشاركات كانت تتم في صبر وثبات، بعيداً عن أي ضجيج أو ظهور، وهو يعرف أثرها في ترسيخ قواعد طلب العلم، وترشيد تربية النشء، ويدخر أجرَ ذلك عند الله تعالى، فهو سبحانه لا يضيع أجرَ المحسنين.

٢ ـ الكتب المدرسية:

وساهم الأستاذ الشيخ (مصطفى) في تأليف كتب التربية الإسلامية لدور المعلمين والمعلمات ولبعض السنوات في المرحلة الثانوية، ولكن العقد السابع من هذا القرن العشرين شهد في أوله إحداثَ منصبِ الموجِّه الأول، ومهمته تطبيق المناهج المدرسية، وتعديل الكتب بما يتناسب معها. وعُيِّن في هذا المنصب الأستاذ (غسَّان طه) ـ حفظه الله ورعاه ـ الذي لم يأل جهداً في دعوة الشيخ (مصطفى) إلى المشاركة الفعلية في تعديل كتاب التربية الإسلامية، للصف الثالث الثانوي، ثم تتابع هذا التعاون ليشمل تعديل بعض الكتب، وتأليف بعضها، مما أثمر خيراً عظيماً لصالح المادة والطلاب على حدٍّ سواء.

وفي السبعينيات أيضاً تم تعديل اللجنة المكلفة بتأليف الكتب الشرعية وفق منهج التعليم الشرعي، وبناءً على اقتراح الشيخ (مصطفى) أصبحت اللجنة تتشكل من:

الأستاذ الشيخ مصطفى الخن.

الأستاذ الشيخ مصطفى البغا.

الأستاذ الشيخ وهبي سليمان غاوجي.

الأستاذ الشيخ وحيد العقاد.

الأستاذ الشيخ علي الشربجي.

الأستاذ الشيخ محيي الدين مستو.

وتمَّ تأليف (٣٥) كتاباً للمرحلتين الإعدادية والثانوية، واشترك الشيخ (مصطفى) بتأليف (٢٠) كتاباً في العقيدة، والتفسير والفقه الشافعي.

وهذه الكتب أعادت وزارة الأوقاف السورية طباعتها أكثر من مرة، وقد أوجدت استقراراً ووضوحاً في التعليم الشرعي، وشهد بعظيم جدواها أهل الفضل من الأساتذة والعلماء.

٣ـ الامتحانات:

أما الامتحانات ووضع الأسئلة لجميع الشهادات: العامة والشرعية والفنية، فكان الشيخ (مصطفى) هو الأستاذ الثقة الذي يفوَّض بتأليف اللجان، متعاوناً مع الموجه الأول لمادة التربية الإسلامية، وكان التفرغ للإعداد للامتحانات في نهاية السنة يمتد إلى شهر كامل، وقد شاركتُ في هذه اللجان، وكان الاجتماع يتم في بيت الشيخ بحي الثريا من الميدان.

وبعد إجراء الامتحانات لجميع الشهادات، كان الأستاذ الشيخ (مصطفى) يرأس مركز التصحيح، وكنت أستلم أمانة السر بتكليف منه. وهذا النشاط الإضافي الذي يجمع عدداً محصوراً من المدرسين في الشتاء، وجميع أعداد مدرسي التربية الإسلامية من المدينة والريف في الصيف، كان بمثابة مؤتمر تربوي وعلمي، يعرض الجميعُ خلالَه مشاكلَ المادة

والتدريس، وكان الشيخ (أبو محمد) هو المرجع الفقهي والعلمي، وهو المستشار التربوي الذي يتسع صدره وقلبه للجميع، مع معرفته بمشرب كل واحد، وما تنطوي عليه بعض النفوس من دخل أو دغل، وكانت هذه النباهة مع الحلم تذكرني باعتداد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه وإيمانه عندما كان يقول: «لست خِبّاً ولا الخِبُّ يخدعني».

ورحم الله الشاعر القائل:

إنِّي غفرتُ لظَالمي ظُلمي ... وتَركْتُ ذَاكَ لهُ علىٰ علْمِي

ورَأيتُه أسْدَى إليَّ يَداً ... لمَّا أبَانَ بجَهلِهِ حِلْمِي

* * * *

سادساً ـ العمل في الجامعات
وشهادة (الدكتوراه)

١ ـ التدريس في جامعة دمشق: وكان ذلك في عام (١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م) وامتدّ إلى عام (١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م)، وأشرت إلى ذلك فيما سبق[1]، ومن المواد التي درّسها في كلية الشريعة مادة (المصطلح) وكان الكتاب المقرر هو (الباعث الحثيث) للحافظ ابن كثير، وبعد محاضرتين قرّر الأستاذ الشيخ (مصطفى) الاستغناء عن الكتاب؛ لأنه لم يجد من الطلاب تجاوباً معه، وكنت واحداً منهم، فقرّر الاستغناء عنه بأمالي، كان يُمليها علينا، ونجد فيها الفهم والوضوح. كما درّس مادة (الفقه المقارن) ومادة (أصول الفقه). وحرص في التعليم الجامعي على المنهج الواضح المثمر، مقدمة وعرضاً وهدفاً، والطالب له أن يُوضع فكره في تصور تام للعلم، ثم يُنقل إلى الجزئيات المرتبطة بالأصل العام، وبعدها من حقّ المدرس والإدارة التعليمية أن تحاسب الطلاب جميعاً عن مدى فهمهم وتحصيلهم.

٢ ـ الإعارة إلى السعودية:

وفي عام (١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م) سافر الأستاذ الشيخ (مصطفى) إلى السعودية، للتدريس إعارة في إدارة (الكليات والمعاهد) والكليات هي

---

(١) انظر ص٢٩.

التي أصبحت تُعرف باسم (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ودرَّس (النحو) في السنة الثانية من كلية اللغة العربية، و(اللغة العربية) في السنة الرابعة من كلية الشريعة. وصادفَ سفره مع تعاقد عدد من الأساتذة والعلماء، وقد أضاف اجتماعه بهم في (الرياض) ولمدة أربع سنوات أنساً، وتبادلاً في المعلومات الثقافية، وتكاملاً في المخزون العلمي، والخبرات التربوية، ومن هؤلاء العلماء الأفاضل:

الشيخ الأديب والكاتب المطبوع المتفرد بالجمع بين الأدب والوعظ الأستاذ الكبير علي الطنطاوي، والأستاذ الأديب عمر عودة الخطيب، والأستاذ الدكتور محمد لطفي الصباغ، والأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح، والأستاذ الدكتور علي الهاشمي[1].

٣ ـ شهادة الدكتوراه والتعيين في جامعة دمشق: أصدر الأزهر الشريف قراراً يقضي بالسماح لخريجي الكليات الأزهرية الذين أمضوا في التدريس الجامعي أكثر من خمس سنوات؛ أن يتقدَّموا بتسجيل رسالة (أطروحة) الدكتوراه مباشرة، فأسرعَ الأستاذ الشيخ (مصطفى) وسجَّل موضوع (أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء) بإشراف الأستاذ الدكتور الشيخ مصطفى عبد الخالق، وناقش ونال شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام (١٣٩١هـ= ١٩٧١م).

ولاشكَّ أن أستاذنا (أبو محمد) حفظه الله ورعاه كان فوق هذه الشهادة علماً ومكانة، ولكنها أنصفته، وبوأته المكانة العلمية المرموقة في دمشق، وفي غيرها من مراكز الدراسات العليا في العالم العربي؛

---

(١) انظر ذكريات الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: (٨/ ١٧١) طباعة دار المنارة، جدة.

إذ عُيِّن مدرساً ورئيساً لقسم العقائد والأديان، وبالإضافة لذلك فقد كان يدرس في كلية التربية (التربية الإسلامية وطرق تدريسها في قسم التأهيل التربوي) في كلية التربية من جامعة دمشق، وقد أصرَّ على هذا التعيين عام (١٤٠٢هـ = ١٩٨١م) الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، وكان وزيراً للتعليم العالي في تلك الحقبة.

ورغم أن هذا الانتقال إلى الجامعة جاء متأخراً؛ إذ بلغ الشيخ سن التقاعد (٦٠) سنة، وجدَّدت له الجامعة إلى عام (١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م)، فإنه ترك أثراً طيباً وباقياً في الكلية إلى اليوم.

وقد أسهم في كلية الشريعة بالتأليف بعد صدور مرسوم تأليف الكتاب الجامعي، فأصدرَ ثلاثة كتب مهمة[1]، لا تزال تدرس إلى اليوم، وهي:

١ ـ **التفسير العام** ـ لطلاب السنة الثانية ـ كلية الشريعة.

٢ ـ **فقه المعاملات** ـ لطلاب السنة الرابعة ـ كلية الشريعة.

٣ ـ **مبادئ العقيدة الإسلامية** ـ لطلاب السنة الثانية ـ كلية الشريعة.

٤ ـ **التعاقد مع السعودية**: وبعد إحالته إلى التقاعد، سافر إلى المملكة العربية السعودية، مُدرِّساً في كلية الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها، ثم عُيِّن أستاذاً في كلية التربية للبنات، وعضواً في المجلس العلمي لجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وأثناء وجوده بالمملكة من عام (١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م) إلى عام

---

(١) أفردت الكلام عنها تحت عنوان (المؤلفات الجامعية) ص ١٠٠.

(١٤١٣هـ= ١٩٩٢م) أشرف على عدة رسائل في الدراسات العليا، وناقش عدداً من الرسائل أيضاً.

وأملى على الطلاب والطالبات كتباً، هي بمثابة مقررات، في التفسير والحديث والسيرة، وهي الآن تحت يدي، أحاول ترتيبها وتنسيقها، ومن ثم طباعتها.

ولاشك أن التعاقد مع السعودية مرة ثانية، وإلى جامعة الإمام بالذات، إنما يدل على الأثر العلمي المبارك الذي تركه الأستاذ الدكتور (مصطفى)، والسمعة الطيبة، والتوسط والاعتدال في طريقته العلمية، ومنهجيته التربوية الواضحة.

٥ ـ **التوهُّج والعطاء في دمشق**: وما إن ألقى الشيخ (مصطفى) عصا السفر والترحال أخيراً في دمشق، حتى أصبح بيته مقصد المحبين وطلاب العلم، ومنذ بداية العام الدراسي (١٤١٤هـ= ١٩٩٣م) وافق على التدريس في قسم الدراسات العليا التابع لجامعة أم درمان في السودان، ومركزه في مجمع أبي النور بدمشق، والإشراف على عدة رسائل لنيل شهادة الماجستير والدكتوراه.

كما وافق على رئاسة كلية الشريعة بقسم التخصص، التابع لمعهد الفتح الإسلامي بدمشق، والتدريس لمادة (أصول الفقه) في السنوات الثلاث، وذلك بعد إصرار من رئيس قسم التخصص الأستاذ الدكتور حسام الدين الفرفور، حفظه الله تعالى.

بالإضافة إلى جلسات صباحية أو مسائية يقرأ فيها الشيخ كتاباً في التفسير، أو النحو، أو الفقه، مع إخوانه ومحبيه.

وهكذا يستمر العطاء يتدفق، والتوهُّج يتألق، فقهاً في الدِّين، وعلماً باللغة، وفهماً للحياة، وتجاربَ من صميم الـواقع؛ مع الحب الصادق، والبسمة العذبة، وخفض الجناح لطلاب العلم المخلصين والمثابرين.

* * * *

سابعاً ـ زوجته وأولاده

١ ـ الزوجة وكيف تمَّ الاختيار؟ .

لقد رأينا كيف حمى الله الشيخ (مصطفى) في طفولته، وصانه من الجهل والضياع، وألهم والده أن يُسلِّكه في طريق العلم، وأن يشرحَ صدره هو للاجتهاد في طلب العلم الشرعي والإبحار في أعماقه.

ومما أكرمه الله به في شبابه؛ أنه عندما فكَّرَ بالزواج لأول مرة، وطلب من والدته أن تُحدِّثَ والده بالأمر، ليخطبَ له فتاة معيَّنة ذكرها لها. ولم تستطع الأم مفاتحة الأب بالأمر، نظراً لأن التفكير بالزواج جاء مبكراً، فالدخل المالي للشيخ قليل، والسكن المستقل غير متوافر بعد. ومضت سنوات عديدة، وتوفيت الأم، وتبيَّن أن تلك الفتاة قد تزوَّجت، وثبت أنها عقيم، لا تُنجب أبداً! .

وبعد التسجيل في الأزهر، ووضوح خطوط المستقبل، سأل الشيخ (مصطفى) أخواته البنات أن يبحثن له عن فتاة مناسبة، فعرضنَ عليه أسماء ثلاث أُسر من الميدان، فاختار ابنة الشيخ حسني المجذوب رحمه الله، وكان هذا الرجل يمتهن التجارة، ويتمتع بِسِمات التقوى والصلاح، ويتزيا بزي المشايخ والعلماء، فيلبس العمامة المطرزة الصفراء.

وكان اختياراً موفقاً، طابَ فيه الأصل والفرع من الطرفين، وتحقق في زواجهما قول الله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: ٢٦]، وأنجبا ذرية صالحة، وكوَّنا عائلةً متماسكةً ومتحابَّة،

يُشكل الذكور فيها ستاً، والإناث ثلاثاً.

وأحبُّ أن أسجل لـ(أم محمد) في هذا الكتاب فضلَها بنزاهة وتجرُّد؛ فهي الأمُّ المربية، والجدَّة الفاضلة، وهي الطاهية المتقنة، والمدبِّرة المتميزة.

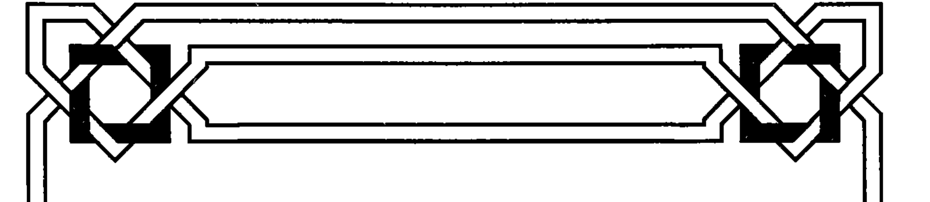
تحمَّلتْ مسؤولياتِ البيت بكفاءة نادرة، وأتاحت لزوجها التفرغ للعلم، وهيأت له جواً مريحاً خارجياً وداخلياً، يسمح بمتابعة الدروس المتلاحقة في غرفة جامع الدقاق، وفي غرفة الضيوف من بيتهما العامر في كل من حي الثريا وحيّ البردان.

٢ ـ **الأولاد**: ومن الجدير بالتسجيل أيضاً، أن شيخنا (أبا محمد) بارك الله له بالعلم، وبارك الله له في أولاده على حدٍّ سواء، وهم جميعاً ذكوراً وإناثاً يحيون في ساحة البر لوالديْهم، ويتمتعون بأخلاق كريمة، وسمعة طيبة، ومنهما طبيبان وطبيبة، وحافظان لكتاب الله تعالى، وحافظة جامعة.

وبحق فإن هذا الزواج الميمون، وهؤلاء الأبناء البررة، شهادة فضل وكرامة، تُضاف إلى سجل حياة الأستاذ الدكتور (مصطفى) الحافلة بجلائل الأعمال، وعظيم البركات.

* * * *





الفصل الثاني

التعريف بمؤلفاته

- أولاً - المؤلفات الخاصة
- ثانياً - المؤلفات المشتركة
- ثالثاً - التحقيقات الخاصة
- رابعاً - التحقيقات المشتركة
- خامساً - المؤلفات الجامعية



الفصل الثاني

التعريف بمؤلفاته ومنهجه في التأليف

تمهيد:

● بدأ الأستاذ الشيخ (مصطفى) الكتابة في وقت مبكر من مسيرته العلمية، فكان تحصيله العلمي تأليفاً، وتأليفه تحصيلاً علمياً، وكان يكتب لنفسه أولاً، ومما كتبَ (شرح الشواهد النحوية المختصر) واقتصر فيه على ذكر البيت من الشعر، وقائله، وإعرابه، وموضع الشاهد النحويِّ فيه.

و(شرح الشواهد النحوية الكبير) وذكر فيه الشاهد النحوي، وتتمة القصيدة، وإعراب البيت كاملاً، والتعريف بحياة الشاعر.

وهذان الكتابان من جملة ما ضاع من أوراق، وربما يعود ذلك إلى كثرة الأوراق وتداخلها، وانتقال الأستاذ الدكتور (مصطفى) من بيته، وبعده عن مكتبته في أسفاره.

● ولاريب أن التأليف في الكتب المدرسية، والأمالي الجامعية؛ شغل الشيخ عن التأليف العام، ولكن البطاقات التي كان يختارها من خلال قراءاته ويُصنفها في موضوعات محدَّدة؛ تدل على أن التأليف لم يكن منسياً تماماً، وإنما هو مؤجل للفرصة المناسبة، كما يدل أسلوب البطاقات على التنظيم والمعاصرة في الجمع والتأليف.

● ومما يدعو للإكبار والاحترام؛ أن صدر الأستاذ الدكتور (مصطفى)

وهو في قمة نضوجه العلمي؛ كان يتسع للمشاركة مع غيره من الأقلام الصاعدة، تأليفاً وتحقيقاً، ولا يجد غضاضة في ذلك، بل يعتقد أن في المشاركة تكاملاً، وفوائد علمية جمة، وبركات عظيمة، والاستفادة العملية من الجمع بين همة الشباب وحكمة الشيوخ. مع قدرته الفائقة على التفرد، وكما هو ظاهر في كتبه التي انفرد بها.

منهجه العام في التأليف والتحقيق:

١ ـ أسلوبه ممتع وواضح ومعاصر، مع فصاحة الكلمات، واتّساق العبارات، وتطابق المقدمات مع النتائج والأحكام.

٢ ـ الجمل سلسة ومتماسكة، وبعيدة عن الأسلوب الخطابي والمباشر.

٣ ـ الشواهد والأدلة ترد في مواضعها المناسبة، ومن غير إكثار ولا تكلف.

٤ ـ الخلو من الغموض والتعقيد، والبعد عن الكلمات الغريبة أو المهملة.

٥ ـ الخط جميل ومقروء، والبدايات واضحة، وعلامات الترقيم مستوفاة، والورق منتقى، والقلم ظاهر التأثير.

٦ ـ التقليل من ذكر الحواشي، والحرص على سلامة النص، وصحة العبارة، من أي تصحيف أو تحريف.

٧ ـ الإيجاز وعدم الإطناب، والتوسط بين التطويل الممل أو الاختصار المخل.

* * * *

أولاً ـ المؤلفات الخاصة

١ ـ الكتاب الأول

أ ـ اسمه : **(أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء)**

وهو بحثٌ قُدِّم لنيل شهادة الدكتوراه في أصول الفقه من الجامعة الأزهرية عام (١٣٩١هـ=١٩٧١م).

ب ـ قياسه وعدد صفحاته : ١٧×٢٥سم ـ ٦٤٤ صفحة ـ تجليد فني.

جـ ـ الناشر : طبعته مؤسسة الرسالة في بيروت عام (١٣٩٢هـ ـ١٩٧٢م)، ووزعته الشركة المتحدة، وقد صدر منه حتى نهاية عام (١٣١٧هـ ـ١٩٩٧م) سبع طبعات.

د ـ موضوع الكتاب : بيان أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء، وهو موضوع عميق ودقيق ومتشعب، ويقتضي التعمق بجوانب الاتفاق والاختلاف في المسائل الأصولية، والتضلع في الاطّلاع على الفروع في شتى المذاهب الفقهية، والقدرة الفائقة على ربط الفرع بأصله في كل مذهب ربطاً محكماً لا خلل فيه ولا اضطراب.

ولذا تهيَّب المؤلف ـ حفظه الله تعالى ـ الخوض فيه أول الأمر، وبخاصة عندما وجد أن المؤلفات التي كُتبت في بناء الفروع على الأصول لم يصل منها مطبوعاً، إلا بعض كتبٍ، لا يبلغ عددها عدد أصابع اليد.

ثم صمَّم على خوض غمار البحث، مستمداً العون من الله العلي القدير.

ومن يقرأ المقدمة بدءاً من الصفحة الأولى، يجد أن الشيخ الجليل أبـا محمد قد حدَّد دوافع الاختيـار لموضوع كتابـه، وبرَّر التصميم على المضي في تأليفه؛ من خلال ثلاث نتائج، توصَّل إليها وهو يضع خِطَّة البحث، وعناصر الأبواب والفصول. وهذه النتائج والثمرات هي:

الأولى: أن ينشطَ في بيان البَوْن الشاسع بين الاختلاف المحمود في فروع الأحكام الشرعية مع الاتفاق على الأصل؛ وبين الخلاف المذموم في أصل من الأصول العقدية التي تُبنى على الأهواء والتحريفات المغرضة، والتأويلات الملتوية.

الثانية: أن يكشف الغطاء عن الفارق الكبير: بين المناداة بالقضاء على المذهبية قضاء مبرماً، وأطر الناس جميعاً على مذهب واحد ورأي واحد، لا تعدد فيه للأقوال والاختلافـات!! وبين العودة إلى المذهبيـة الضيقة التي كانت مظهراً من مظاهر العصبية المقيتة، وعاملاً من عوامل الفرقة المخيفة بين المسلمين.

الثالثة: أن يعرضَ لفكر كل منصف، وأن يمتع سمع كل متذوِّق، بالكثير من وجهات نظر الفقهاء عندما يقفون أمام النصوص من كتاب أو سنة، ليستنبطوا منها أحكام الله، ويبذلوا أقصى جهدهم في التعرف إلى الحقيقة؛ تاركين هوى أنفسهم، غير عابئين إلا بما يرضي الله ورسوله ﷺ، فيصدرون عنه بأحكام مختلفة، كل على حسب خطته التي استوحاها من الشريعة نفسها.

وهذه الفوائد العظيمة، قلبت في نفسِ شيخنا: العواطف المشبوبة إلى العقلانية الموضوعية، المهتدية بأنوار الشريعة، وأبعدته تماماً عن أيِّ غلواء أو حِدَّة، وفتحت قلبه على موسوعات الفقه المذهبي وما تحتوي عليه من كنوز التشريع والحكمة، كما استنارت أفكاره واتسعت آفاقه وهو يدرس منازع الفقهاء في تفسير آيات الأحكام، وشروح أحاديث الأحكام.

هـ ـ أهمية الكتاب:

أصبح الكتاب (أثر الاختلاف) بعد صدوره كتاباً جامعياً، ومرجعاً رئيساً في الدراسات العليا، في أصول الفقه، وتطبيقات فروع الفقه. والأمثلة في جميع أبوابه موثقة، تبنى فيها الأحكام الجزئية على القواعد الكلية، ضمن فهم ثاقب، وعرضٍ حياديٍّ، وموضوعيّ، وأمين. وحفظ الله المؤلف وأمدَّ في عمره ونفع بعلمه، فقد استبق بعين بصيرته أهمية الكتاب، وعرف خطورة موضوعه، وحاجة العلماء والفقهاء إليه، فكتب في المقدمة يقول:

هذا ولا أعتقد أن لأحد حاجة لأن يُقام له برهان على قيمة هذا الموضوع بحدِّ ذاته، سواءٌ أكنت وفيته القول أم لم أوفه:

● ففي هذا الموضوع وصلٌ لما انقطع من الصلة بين الأصول وفروعها، وإحياءً لعلم الأصول الذي بات يُدرس في كثير من الأقطار الإسلامية كنظريات جامدة ليس لها أي مدلول واقعيّ.

● وفي هذا الموضوع إبراز لمنهج الأقدمين، وبيان أنهم لا يخبطون في دين الله خبط عشواء، بل كانوا يحكمون الخطة ويحددون المنهج، ثم يخطون إلى أهدافهم بخطى ثابتة وعقل واع، فإذا بهم يُدركون الغاية من وجهها الصحيح.

● وفيه إشادة بعبقرية تلك العقول المبدعة، التي عرفت كيف تضع المنهج الصحيح؛ لإدراك غاية صحيحة.

● وفيه إعلام بالثروة الفكرية التي تركها لنا أسلافنا الأقدمون، كي ننميها ونزيدها غنى واستغناء.

● وفيه بيان أن شريعة الله خالدة وأن بإمكانها ـ وبإمكانها وحدها ـ أن تعالج مشكلات البشرية ـ على تنوعها ـ على ضوء نور الله وهدي رسوله ﷺ.

و ـ رؤوس موضوعات الكتاب:

البحث التمهيدي: في نشوء الخلاف في المسائل الفقهية، وأهم أسبابه.

الباب الأول: فيه أهم القواعد الأصولية التي تتعلق بطرق دلالة الألفاظ على الأحكام، والقواعد المختلف فيها، وما انبثق عن هذا الخلاف من اختلاف في الفروع.

الباب الثاني: فيه أهم القواعد المتعلقة بالألفاظ، من حيث الشمول وعدمه، والقواعد المختلف فيها، وما ترتب على ذلك من اختلاف في الفروع.

الباب الثالث: فيه أهم القواعد المتعلقة بالأمر والنهي، وما اختلف فيه منها، وأثر هذا الاختلاف في الفروع.

الباب الرابع: أهم القواعد المختلف فيها، مما يتعلق بالكتاب وحده أو السُّنَّة وحدها، وأثر هذا الاختلاف في الفروع.

الباب الخامس: الإجماع والقياس، وأهم القواعد المختلف فيهما، وأثر هذا الاختلاف في الفروع.

الباب السادس: أهم الأدلة المختلف فيها، وأثر ذلك في الفروع.

الخاتمة: دراسة باب من أبواب الفقه على نحو تطبيقيّ، وهو باب النكاح.

هذا ولقد أصبح الكتاب يدرَّس في قسم الدراسات العليا في الجامعة الأزهرية، وفي كثير من الجامعات الإسلامية كالهند ومصر والسودان واليمن وسورية وغيرها، وتُرجم إلى اللغة التركية.

* * * *

٢ ـ الكتاب الثاني

أ ـ اسمه: (عبد الله بن عباس ـ حبر الأمة وترجمان القرآن).

وهو كتاب يحمل الرقم (١٥) من سلسلة أعلام المسلمين.

ب ـ قياسه وعدد صفحاته: ١٤×٢٠سم ـ ٢١٠ صفحة تجليد غلاف.

جـ ـ الناشر: دار القلم في دمشق وبيروت، وصدرت الطبعة الأولى منه عام (١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م). وصدر منه حتى نهاية عام ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م خمس طبعات.

د ـ موضوع الكتاب: دراسة قيمة ونافعة لحبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، تضمنت الكشف عن معالم شخصيته العلمية المتميزة في التفسير والحديث والفقه. وجلَّت سيرةَ حياته المباركة في صحبة النبي ﷺ غلاماً أديباً أريباً، وفي صحبة الخلفاء مستشاراً ألمعياً، وسياسياً لبيباً. ودلَّلت الدراسة على مكامن القدوة في الحرص على طلب العلم، والأدب في تحصيله، والأمانة في إشاعته وتبليغه.

هـ ـ أهميته: دُعي الأستاذ الدكتور (مصطفى الخن) للمشاركة في الكتابة ضمن سلسلة (أعلام المسلمين) التي تُصدرها دار القلم بدمشق وبيروت، فاختار شخصية ابن عباس، لأن صورته ازدادت في نفسه وضوحاً ورسوخاً كلما أوغل في طلب العلم؛ حتى أخذت بمجامع قلبه؛ فكتب عنه باعتباره المسلم الذي تكاملت فيه صفات الإيمان، وتضافرت في حياته

ملامح النجابة والعبقرية، وتوافقت عنده مخايل العلم والفهم، وكرم المحتد، ونبل الخلق، وصدق الفعل.

وقد وُفِّقَ المؤلفُ في كتابة سيرة عطرة عن ابن عباس، وحقَّق من خلال أبواب الكتاب وفصوله ما رمى إليه من إظهار كلِّ جوانب النبوغ والعظمة، ولتتطابقَ مع دوافع الحبِّ والإعجاب بفارس بطل، وبعالم حبر، من أعلام الصحابة الكرام.

و ـ الكتاب خلاصة، ومختارات:

وأجد من المفيد هنا أن أسجّل حقيقة مهمة، أشار إليها الدكتور المؤلف في مقدمته، وهو أن هذا الكتاب الصادر في سلسلة أعلام المسلمين، عن حبر الأمة الإسلامية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ إنما هو خلاصة عن حياته، ومختارات من أخباره، وجزء يسير من كتاب كبير كان يطمح شيخنا حفظه الله إلى تأليفه، وقد حشد من أجل ذلك بطاقات كثيرة، وجزازات عديدة، أضاع بعضَها، وبقي منها ما يملأ صندوقاً، اطَّلعت عليه بنفسي، وأسهمت معه في اختيار المناسب من وقائع حياة هذا الصحابي الجليل، وترتيبها بما يتناسب مع أبواب الكتاب، وفصوله، وحجمه.

ز ـ موضوعات الكتاب:

١ ـ سيرة ابن عباس: ولادته، ونشأته، وحياته مع الرسول ﷺ، وحياته مع عمر وعليّ.

٢ ـ شخصيته العلمية، وبيان تفوقه في الفقه والتفسير والحديث.

٣ ـ الجانب السياسي من حياته.

٤ ـ متفرقات من أخباره.

٥ ـ أقواله، وما قيل فيه.

٦ ـ وفـاته. وبها ختم الدكتور كتابه عن ابن عبـاس، حبر الأمة، وترجمان القرآن، فقال: «في يوم من أيام سنة ثمان وستين للهجرة خبـا ضوء هذا الكوكب السـاطع، الذي كان يُشـيع في الأمة الإسـلامية العلم والمعرفة، قرابة ستين سنة من وفاة رسول الله ﷺ، إلى أن صعدت روحه إلى بارئها في هذا العام.

نعم مات ابن عباس، وغابت شمس علمه عن دنيا الناس ـ والموتُ سبيل كلِّ حيّ ـ وانثلمَ في صرحِ البناء الإسلاميِّ ثلمةً ما كان ليسدَّها إلا نظيرٌ له في علمه وفقهه وفضله وأدبه وكمال عقله».

* * * *

٣ ـ الكتاب الثالث

أ ـ اسمه: (دراسة تاريخية للفقه وأصوله ـ والاتجاهات التي ظهرت فيهما).

ب ـ قياسه: ١٧×٢٥ ـ وعدد صفحاته (٢٤٠)، تجليد غلاف.

جـ ـ الناشر: الشركة المتحدة ـ دمشق، وصدرت الطبعة الأولى سنة (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).

د ـ موضوع الكتاب: دراسة تاريخية لكل من الفقه وأصوله.

وهذه الدراسة عجالة قدَّمها، لتكون تأريخاً لكل من الفقه وأصوله، وكان بالإمكان أن تكون أوسع وأشمل لو كان هناك متسع من الوقت، إلا أن ضيق الوقت جعله يقدم هذه الدراسة على ما هي عليه في هذه العجالة[١].

هـ ـ أهميته: وتظهر أهمية الكتاب فيما قدم له الدكتور (مصطفى) بقوله:

«إن دراسة تاريخ الفقه وأصوله من الضرورة بمكان؛ وذلك لما في

---

(١) وقد وفَّى ـ جزاه الله خيراً ـ فأعاد التأريخ لمادة الأصول، بكتاب هو الأوسع والأشمل في هذا المضمار، وهو (أبحاث حول تاريخ أصول الفقه)، وسأتكلم عنه فيما يأتي، وقد شهد عدد من الأساتذة الكرام، ومن المطَّلعين عن كثبٍ على النشر في عالم الكتب والمكتبات، أن موضوع الكتاب جديد في تخصصه، وشامل في رؤوس موضوعاته.

هذه الدراسة من فتح عيون الناس قاطبةً على عظمة هذا الفقه، وأصالة أصوله ومنطلقاته، كما تفتح عيون العالم على عظمة هؤلاء العلماء الذين ساهموا في بناء هذين العلمين العظيمين، مما لا تجد نظيراً له في أمة من الأمم».

د ـ رؤوس موضوعاته:

أولاً ـ الفقه:

١ ـ مدلول كلمة الفقه.

٢ ـ الأدوار التي مرَّ بها الفقه الإسلامي:

أ ـ عصر الرسول ﷺ.

ب ـ عصر الصحابة.

جـ ـ عصر التابعين والأئمة المجتهدين.

د ـ مرحلة التقليد.

هـ ـ بوادر نهضة فقهية حديثة.

ثانياً ـ أصول الفقه:

١ ـ لمحة تاريخية عن أصول الفقه.

٢ ـ مدارس أصول الفقه:

أ ـ طريقة المتكلمين.

ب ـ طريقة الفقهاء.

جـ ـ الجمع بين طريقة المتكلمين والفقهاء.

د ـ اتجاه تخريج الفروع على الأصول .

هـ ـ مدرسة الشاطبي في كتابه الموافقات .

و ـ المؤسسات والكليات التي اهتمت بتدريس الفقه وأصوله .

وقد ختم المؤلف هذا الكتاب بأمنية عظيمة ، فقال :

«يتعين في هذا العصر أن يكون في العالم الإسلامي لجنة من كبار علماء المسلمين الذين درسوا الفقه دراسة عميقة ، ودرسوا أصول الفقه دراسة كافية ، مع اطلاع واسع على آيات الأحكام وأحاديثها ، ودراسة واسعة في حكمة التشريع ، وما يتصل بذلك من وسائل واستعدادات للاستنباط ، كي يقوموا بتقنين الفقه الإسلامي ، وبوضع حلولٍ للقضايا المتجددة في العالم الجديد ، ولا سيما في ميدان المعاملات ، مع خشية لله سبحانه وتعالى وخوفٍ منه ، وحرصٍ على عزة الإسلام وكرامته ، وما أحوج العالم الإسلامي إلى وجود هذه الزمرة المباركة !» .

* * * *

٤ ـ الكتاب الرابع

أ ـ اسمه : (الحسن بن يسار البصري ـ الحكيم الواعظ الزاهد العالم)

ب ـ قياسه : ١٤×٢٠ سم ـ وعدد صفحاته (٣٦٨)، التجليد غلاف .

جـ ـ الناشر : دار القلم في دمشق وبيروت، وصدرت الطبعة الأولى منه عام (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م) .

د ـ موضوع الكتاب : دراسة جادَّة لشخصية الإمام الحسن البصري، على غرار كتاب عبد الله بن عباس، لما لحياة هذا التابعي الثقة من الإعظام والتقدير عند المسلمين عامة، ولما لها من حُسن القدوة عند العلماء خاصة .

ومن يتتبع جوانب العظمة في شخصية الحسن البصري؛ فإنه يجدها متعددة وشمولية: فهو الإمام في العقيدة، وهو الإمام في التفسير، وهو الإمام في الحديث، وهو الإمام في الفقه، وهو الإمام في الوعظ والحكمة والإرشاد والتوجيه، وهو المجاهد في صفوة المجاهدين، وهو الخطيب المفوه في المحافل، وهو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر؛ لا يخاف في الله لومة لائم .

هـ ـ أهمية الكتاب :

وفي هذه المرة دُعي المؤلف أيضاً للكتابة في أعلام المسلمين، وأن يكتب عن الحسن البصري بالذات، فلبَّى الدعوة بحماس واهتمام، وخط يراعه كتاباً دسماً ومفيداً، يمتاز بالصبغة العلمية، والتوثيق الموضوعي،

والفوائد الجمة والمتنوعة والأسلوب المتميز الرصين.

● ولا أبالغ إذا قلت: إن هذه الدراسة المستفيضة والموثقة عن الجوانب المتعددة من حياة الحسن البصري، قد فتحت الباب واسعاً أمام طلاب الدراسات العليا، لاستيفاء البحث عن كل جانب على حدة، فبدأنا نقرأ ونسمع عن دراسات متخصصة حول فقه الحسن البصري، وعن آرائه الفقهية[1] مقارنة مع غيره من المذاهب. ولعل السنوات القليلة القادمة تطلعنا على أبحاث وافية عن آرائه: في العقيدة، والتفسير، والحديث، والحكم والمواعظ، لتكمل معالم هذه الشخصية الفذّة.

و ـ رؤوس موضوعاته:

١ ـ لمحات من سيرة الحسن البصري وحليته.

٢ ـ الإمام الحسن البصري والعقيدة.

٣ ـ الإمام الحسن البصري والتفسير.

٤ ـ الإمام الحسن البصري والفقه.

٥ ـ الإمام الحسن البصري والحكم والمواعظ.

٦ ـ أخبار متفرقة عن حياته.

٧ ـ وفاته.

* * *

---

(١) وهو بحث علمي وفقهي مقارن، قدمته المدرِّسة: روضة جمال الحصري، ونالت به درجة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الشريعة والقانون ـ فرع دمشق، بإشراف الدكتور مصطفى الخن.

٥ ـ الكتاب الخامس

أ ـ اسمه : (الأدلة التشريعية وموقف الفقهاء من الاحتجاج بها) .

ب ـ قياسه : ١٧×٢٥سم وعدد صفحاته (٥١٢) التجليد فني .

جـ ـ الناشر : مؤسسة الرسالة في دمشق وبيروت ـ وصدرت الطبعة الأولى منه سنة (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) .

د ـ موضوع الكتاب : عرض ألمعي ومستفيض للأدلة الشرعية عند الفقهاء ، وهي مصادر التشريع المتفق عليها والمختلف فيها .

أما المتفق عليها : فالكتاب (القرآن الكريم)، والسنّة النبوية ، والإجماع ، والقياس .

وأما المختلف فيها : فالاستصحاب ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة ، والعرف ، وقول الصحابي ، وسدُّ الذرائع ، وشرع من قبلنا ، وإجماع أهل المدينة ، والاستقراء ، والأخذ بأقل ما قيل ، ورؤيا الرسول ﷺ في المنام ، والإلهام ، ودلالة الاقتران .

هـ ـ أهمية الكتاب : تظهر أهمية هذا البحث الفقهي في اكتشاف المؤلف الأصولي حاجته إليه ، إذ اختار أن يبحث في موضوع التعارض والترجيح بين الأدلة ، وبعد أن قطع فيه شوطاً ليس بالقصير ، وكاد أن يصل فيه إلى نهايته قام في نفسه أن يبحث في الأدلة أولاً ، ثم ينتقل إلى بحث التعارض بينها . ولا شك أنها قناعة منطقية وأصولية ، أضفت على الكتاب

سلاسة وعذوبة، وتدفقاً في الأفكار والمعلومات، ونَفَساً طاهراً في التأثير والإقناع؛ لأنه يمثل المقدمة الواضحة في تصور عالم درّاكة، لنتيجة حاسمة وعمل جليل.

و ـ ثمرة البحث:

وقد أوجب المؤلف الدكتور (مصطفى) على نفسه المزيد من الكلام في إبراز الأدلة الشرعية أولاً، وإظهار التعارض والترجيح بينها ثانياً، معلِّلاً ذلك بقوله: «ومما أكَّد عندي وجوب المزيد من الكلام في هذا الجانب ما رأيته من أن هناك فئة لم تأخذ من العلم بسبب. تقول:

حسبنا كتاب الله وسنة رسوله، فنحن نأخذ منهما أحكامنا الشرعية! نعم إن مصدر التشريع هو الكتاب والسنة، ولكن لابد لفهمهما من وسائل وأدوات وقواعد يتواصل بها إلى استنباط الأحكام من هذين المصدرين، وإلا استوى في ذلك العالم والجاهل. وإنني لأشعر أن كثيراً من هؤلاء خلوا من معرفة هذه الوسائل والأدوات والقواعد، التي سطَّرها العلماء في كتب أصول الفقه، فيقعون في الخطأ من حيث لا يشعرون، فيُحلُّون ما حرَّم الله، ويُحرِّمون ما أحلَّ!!».

* * * *

٦ ـ الكتاب السادس

أ ـ اسمه: **أبحاث حول أصول الفقه الإسلامي** (تاريخه وتطوُّره).

ب ـ قياسه: (١٧×٢٥سم) وعدد صفحاته مع الفهارس العلمية (٣٥٠) صفحة، التجليد فني.

جـ ـ الناشر: دار الكلم الطيب في دمشق وبيروت، وصدرت طبعته الأولى عام ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

د ـ موضوع الكتاب:

دراسات جادة، وأبحاث موثقة ومستفيضة عن تاريخ علم أصول الفقه وتطوُّره، بدءاً من واضعه الأول الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ وانتهاء بمدارس علم الأصول المتعددة، التي تتبع مناهج المتكلمين، أو منهج الفقهاء، أو تجمع بينهما، أو تنفرد بمنهج جديد وعرض فريد.

هـ ـ أهمية الكتاب:

وتظهر أهمية الكتاب في بيان الأمور التي دفعت المؤلف المرجع في هذا الفن، إلى توسيع أبحاثه وتركيزها، وهي:

أ ـ بيان أن الشريعة الإسلامية غنية بمصادرها، وعندها القدرة على إيجاد الأحكام الشرعية، لجميع الحوادث الطارئة مهما كان نوعها، وإلى يوم القيامة.

ب ـ بيان أن الأئمة المجتهدين لم يستخرجوا الأحكام الشرعية

معتمدين على ميولهم ورغباتهم، بل بنوا جميع فروعهم على قواعد وأصول مستوحاة من مصادر الشريعة، وعلى رأسها الكتاب العزيز والسنّة النبوية المطهرة.

جـ ـ بيان أن من أراد أن يفهم كتاب الله تعالى، وسنّة رسوله ﷺ، وأن يستدل بهما، فعليه أن يطلع على القواعد الأصولية، ليتوصل إلى فهم المراد من كلام الله، وكلام رسوله ﷺ.

د ـ بيان أصول كل مذهب من المذاهب والأربعة، لمعرفة الطريق التي توصل بها المجتهد إلى أحكامه وفقهه.

و ـ رؤوس الموضوعات:

الباب الأول ـ تاريخ التشريع ومصادره: في عهد الرسول ﷺ، والصحابة والتابعين.

الباب الثاني ـ أصول الفقه: نشأته، وتدوينه، وتطوره.

الباب الثالث ـ أصول الأئمة الأربعة: الإمام أبي حنيفة ـ والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد.

الباب الرابع ـ مدارس أصول الفقه: طريقة المتكلمين، وطريقة الفقهاء، وطريقة الجمع بينهما، ومدارس أصولية أخرى..

* * * *

٧ ـ الكتاب السابع

أ ـ اسمه : الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي.

ب ـ قياسه : (١٧×٢٥سم)، وعدد صفحاته (٣٦٨) ، التجليد غلاف.

جـ ـ الناشر : مؤسسة الرسالة في دمشق وبيروت، وصدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

د ـ موضوع الكتاب : عرض مبسط لموضوعات علم أصول الفقه، وقد أوضح المؤلف ذلك في المقدمة، فقال: «وهو خلاصة ما كتبه الأئمة الأعلام من المسائل الأصولية التي يحتاج إليها طلاب العلم، من غير تطويل مملّ، ولا اختصار مخلّ، روعي فيه التعبير عن هذه القواعد الأساسية بعبارات واضحة، لا يشتمل على أي غموض، كما روعي فيه الأساليب التربوية التي يجب مراعاتها في التوجيه والتعليم».

هـ ـ أهمية الكتاب : تتضح أهمية الكتاب في كونه عبارة عن مجموع ثلاث كراسات، تحتوي على معظم موضوعات علم أصول الفقه، كانت تدرس للسنوات الثلاث من كلية الشريعة ـ قسم التخصص الجامعي، التابع لجمعية الفتح الإسلامي بدمشق.

ومادة الأصول في هذه السنوات تنقسم إلى نصِّي وموضوعي، والأستاذ الدكتور (مصطفى الخن) يُدرِّس القسم الموضوعي، ويقرر هذه

الأمالي الثلاث المكتوبة بخط يده.

● ويهدف المؤلف مما كتب بعد جمعه في كتاب واحد (الكافي الوافي) إلى توضيح موضوعات علم الأصول، باستخدام عبارات سهلة، وأسلوب معاصر، ويصرُّ على إزالة الوحشة من نفوس الدارسين والدارسات لعلم الأصول، وإعطاؤهم فكرة شمولية، وتقسيمات أكاديمية لتأسيس هذا العلم، ولتطوره التاريخي خلال العصور المتتابعة، حتى عصرنا الحاضر، مما يجعلهم يألفونه، ويتفاعلون معه على اختلاف مستوياتهم.

وكثيراً ما نبغ من هؤلاء طلاب، أحبوا مادة أصول الفقه، واختاروا التخصص فيها، وكتب بعضهم أبحاثاً جادَّة، وأصبحوا يستظهرون تعريفاتٍ دقيقة، ويستسيغون عبارات المؤلفين الأصوليين الأوائل، رغم دقتها وعمقها.

د ـ خِطَّة محدَّدة ومتكاملة: تتشكل في كتاب (الكافي الوافي) وتتلخص في:

١ ـ تصوُّر شامل لعلم الأصول، من حيث نشوئه وتطوره، ومعرفة أعلامه ومؤلفاته.

٢ ـ دراسة موضوعات علم الأصول بطريقة سهلة لينة، بعيدة عن الإغراب والتعقيد، تتناسب مع حملة الشهادات الثانوية الأدبية والعلمية، وتتلاءم مع الطلاب الشرعيين، وتفتح للجميع آفاقاً من الخبرات العملية في مضمار علم أصول الفقه.

٣ ـ إبقاء الصلة قائمة مع الكتب المصادر في هذا الفن، ودراسة

نصوص منها بإشراف أستاذ أصولي محترف، يقوم بتعريفهم على مصطلحات ومناهج المؤلفين الأثبات في هذا العلم الشامخ العظيم.

ز ـ رؤوس الموضوعات:

الباب التمهيدي ـ مبادئ علم الأصول، ويحتوي على فصلين.

الباب الأول ـ الحكم، ويحتوي على أربعة فصول.

الباب الثاني ـ الأدلة التشريعية: مصادر التشريع الإسلامي، ويحتوي على المصادر المتفق عليها، والمصادر المختلف فيها.

الباب الثالث ـ الدلالات وأصول الاستنباط، ويحتوي على ستة فصول.

* * * *

ثانياً ـ المؤلفات المشتركة

١ ـ الكتاب الأول

أ ـ اسمه: (نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ـ من كلام سيد المرسلين).

ب ـ قياسه: ١٧×٢٥، وعدد صفحاته مع الفهارس العلمية (١٢٨٠)، ويقع في مجلدين فنيين.

جـ ـ الناشر: مؤسسة الرسالة في دمشق وبيروت، وصدرت طبعته الأولى عام (١٣٩٧هـ =١٩٧٧م)، وقد طبع حتى الآن أكثر من خمس وثلاثين طبعة.

د ـ موضوع الكتاب:

شرحٌ معاصر للأحاديث النبوية، تضمن تخريج الحديث أولاً في مصادره الأساس، ثم شرح الألفاظ اللغوية تحت عنوان: **لغة الحديث**، ثم إيراد فقه الحديث وإفاداته وتوجيهاته وإرشاداته تحت عنوان: **أفاد الحديث**، وضمن التوسط المقبول والمفيد، والتوقف الهادف وغير المباشر لدى الدروس التعليمية والتربوية في الكلام النبوي المؤثر البليغ.

وقد شارك بالتأليف: د. مصطفى الخن، ود. مصطفى البغا، ود. محيي الدين مستو، وأ. علي الشربجي، وأ. محمد أمين لطفي،

وكانت مهمة الدكتـور أبي محمد: الإشراف والتنسيق والتوجيه، وإجازة المكتوب إلى الأستاذ أمين ـ رحمه الله ـ لكتابته بخط يده ـ وكان خطاطاً متقناً، ولو احترف مهنة الخط لأجاد وأفاد.

هـ ـ أهمية الكتـاب: لقي كتـاب (نزهة المتقين) القبول والتقدير من الطلاب الجامعيين، والمثقفين، والقراء العاديين، على امتداد العالم العربي والإسلامي، وأصبح من الكتب المشهورة التي تعدُّ من أكثر الكتب رواجاً في عالم الطباعة والنشر.

ولا شك أن لإخلاص مؤلف متنه (رياض الصالحين) الإمام النووي أكبر الأثر في هذا القبول المبارك لمحتواه. كما لا يخفى ما قدَّمه المؤلفون من منهج راق في الأسلوب مظهراً ومضموناً، وما التزموه من إلمام شامل بالكتب الأمهات من كتب الشـروح، وبعدٍ عن الاختلافـات الجزئيـة أو الهامشية في اللغة أو الإعراب أو الفروع الفقهية.

● ومن الإنصاف أن أشير إلى فضل أستاذنا الجليل ـ الدكتور مصطفى الخن، حفظه الله وأمتع به ـ في هذا الكتاب الحافل (نزهة المتقين) وضمن نقاط محددة تستحق التسجيل:

١ ـ كان العمل في الكتاب ثمرة وتتويجاً لعملنا الجماعي في تأليف الكتب الشرعية، في المرحلتين الإعدادية والثانوية، المقررة في وزارة الأوقاف السورية، وشيخنا هو المرجع وهو الرئيس.

٢ ـ كان اجتماعنـا في وضـع المنهج والمراجعة والاستفسـار عن المصادر، وحل جميع المشـاكل التي تعترضنـا، إنما يتم في بيته العامر الكائن في حي الثريا من الميدان الفوقاني في دمشق الحبيبة.

٣ ـ إن التزام منهج محدَّد وأسلوب واضح، بعيدين عن أي تشويش أو غموض، هو سرُّ نجاح الكتاب، والجميع فيه مدينون إلى أستاذية الدكتور الخن ومنهجيته ووضوحه.

٤ ـ لقد كان عملنا في (نزهة المتقين) برهاناً على نجاح العمل الجماعي، حيث تتضافر الجهود، وتتكامل الخبرات، كنا نسمع عن أعمال المستشرقين الجماعية، وكان أستاذنا ومعلِّمنا قدوتنا في هذه القناعة، ومحاولة أن نثبت أننا بالعقلية الإسلامية الجماعية أولى وأجدر منهم.

* * * *

٢ ـ الكتاب الثاني

أ ـ اسمه : (الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي) .

ب ـ قياسه : ١٧×٢٥سم وعدد صفحاته (١٦٥٦)، ويقع في ثلاثة مجلدات فنية .

جـ ـ الناشر : دار القلم في دمشق وبيروت، ودار العلوم الإنسانية في دمشق، وصدرت طبعتـه الأولى في دار القلم ـ بيروت عام (١٤١٢هـ) وطبعته الرابعة (١٤١٩هـ=١٩٩٩م)، وطُبع في دار العلوم الإنسانية ـ دمشق، طبعتان .

د ـ موضوع الكتاب : تدوين مميز لأمهات المسائل الفقهية، مقرونة بأدلتها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، مشفوعة ببيان حكمة التشريع ضمن حدود الاستطاعة البشرية، مع سهولة في التعبير، وإكثار من العناوين المنبهة إلى ما تحتها من مسائل وفروع .

وقد شاركَ الدكتورَ الخن في هذا التـأليف النافع كلٌّ من الدكتـور مصطفى البغا، والأستاذ علي الشربجي .

هـ ـ أهمية الكتاب : أضاف (الفقه المنهجي) عنواناً جديداً وبارزاً إلى فهارس المكتبة الإسلامية، وبخاصة كتب الفقه على مذهب الإمام الشافعي، وأهمية متميزة في أسلوبه المعاصر، ومنهجه الحديث. وقد تلقته الطبقة المثقفة والمتنامية في العالمين العربي والإسلامي بالترحاب

والقبول، وتعددت طبعاته في فترة وجيزة بعد صدوره، في كل من دمشق وبيروت، وهو ثمرة يانعة من العمل الجماعي، وعمل متكامل ومبرور لثلاثة من المؤلفين الأماثل، عرفتهم دمشق علماء فقهاء، أمضوا مجالس لا تعد من أعمارهم المباركة في قراءة كتب الفقه الأمهات، وتفهيمها للناس في بيوتات دمشق، وفي رحاب مساجدها العامرة بالمصلين والمتعلِّمين.

و ـ المحتوى:

١ ـ المجلد الأول: العبادات وملحقاتها: الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، الأيمان والنذور، الصيد والذبائح، العقيقة، الأطعمة والأشربة، اللباس والزينة، الكفارات.

٢ ـ المجلد الثاني: أحكام الأسرة وملحقاتها: الأحوال الشخصية، الوقف، والوصية، والفرائض.

٣ ـ المجلد الثالث: المعاملات، والمعاوضات، والجنايات، والحدود، والجهاد، والإمامة العظمى وما يتبعها.

* * * *

٣ ـ الكتاب الثالث

أ ـ اسمه : **(العقيدة الإسلامية : أركانها ـ حقائقها ـ مفسداتها).**

ب ـ قياسه : ١٧×٢٥سم ، وعدد صفحاته (٦٢٠)، ويقع في مجلد فني.

جـ ـ الناشر : دار الكلم الطيب في دمشق وبيروت ، وصدرت طبعته الأولى ١٤١٧هـ. وطبعته الرابعة (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م).

د ـ موضوع الكتاب : تقديم مباحث العقيدة بأسلوب ماتع ومنهج فريد، وبيان أركان الإيمان الستة، مع أدلتها النقلية والعقلية، وآثارها في بناء الفرد المؤمن، والأسرة المثلى، والمجتمع الإسلامي العزيز الماجد؛ هي صُلْب الكتاب ومعظمه. بالإضافة إلى مقدمة ضافية في التعريفات والمصطلحات الخاصة بعلوم العقيدة، وعن مصادر المعرفة، ومنهج القرآن في الوصول إلى المعرفة الحقة، وتميُّزه عن مناهج وطرق علماء الكلام.

كما ختمت أركان الإيمان بالحديث عن الإنسان والكون من عالم الشهادة، وعن الروح والجن والشياطين من عالم الغيب. ثم الحديث عن مفسدات العقيدة ونواقض الإيمان، وعن خصائص العقيدة ومميزاتها الخاصة بها دون سائر العقائد في جميع الملل والأديان.

هـ ـ أهمية الكتاب :

استفاد المؤلفان : الأستاذ الدكتور مصطفى الخن، والدكتور

محيي الدين مستو من خبرتهما في تدريسهما لمادة العقيدة خلال مرحلتي الدراسة الثانوية والجامعية، واستطاعا أن يحققا بتوفيق من الله تعالى معادلة متكاملة وممتعة، جمعت بين السهولة في اللفظ والوضوح في المعاني، والجمال في الأسلوب، والاستقصاء لموضوعات العقيدة: مقدمات ونتائج، والإبقاء على الصلة قائمة ووثيقة مع كتب الأسلاف، في بناء العقيدة الصحيحة الراسخة، والإيمان اليقيني بالله عزَّ وجلّ.

كما قضت بالأدلة الساطعة على ظلمات الكفر والشرك، ورياح السفسطة والشَّكِّ، وأخرست بالحجج القاطعة همهمات شياطين الإنس، وفحيح أفراخ الملاحدة، وكدورات المشعوذين والدجَّالين. وغرست بذورَ العقيدة الإسلامية في النفوس الصالحة، وأوصت بتعهدها بالرعاية التامة، حتى تصبحَ أركانُ الإيمان أشجاراً باسقة ومثمرة، أصولها ثابتة وفروعها في السماء، تفجع الخصومَ، وتزيدُ في برد اليقين.

و ـ رؤوس الموضوعات:

الباب الأول: المدخل والمبادئ العامة.

الباب الثاني: أركان الإيمان.

الباب الثالث: الكون والإنسان.

الباب الرابع: من الأمور الغيبية.

الباب الخامس: مفسدات العقيدة.

خاتمة: خصائص العقيدة الإسلامية وآثارها.

* * * *

٤ ـ الكتاب الرابع

أ ـ اسمه: (الإيضاح في علوم الحديث والاصطلاح).

ب ـ قياسه: ١٧×٢٥سم ـ عددصفحاته (٣٦٨)، تجليد فني.

جـ ـ الناشر: دار الكلم الطيب ـ في دمشق وبيروت ـ وصدرت طبعته الأولى عام (١٤١٩هـ=١٩٩٨م)، وطبعته الثانية المصحَّحة والمنقَّحة عام (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

د ـ موضوع الكتاب: علوم الحديث، والمقصود به مجموعة القوانين التي يُتوصَّل بها إلى تمييز مقبول الحديث من مردوده، ومعرفة آداب روايته، وكيفية فهمه.

وقد مهَّد المؤلفان الكريمان: الدكتور مصطفى الخن، والدكتور بديع اللحام لهذا البحث العلمي المهم بمدخل تاريخي يتضمن تطور تدوين الحديث، ونشوء علوم الحديث وتكاملها. ثم عرَّفا بعلم أصول الحديث وأهميته، وبيَّنا مكانة السنة وحجيتها، ثم أتيا على أنواع الحديث: المتواتر، والصحيح، والحسن، والضعيف، واستقصيا علوم الإسناد، وعلوم المتن، وختما ببيان أهلية التحمل والأداء وطرقهما.

هـ ـ أهمية الكتاب:

الكتاب لبنة ذهبية في صرح هذا العلم الشامخ (مصطلح الحديث)

حاول المؤلفان من خلاله أن يفرغا خلاصة تجربتهما في تدريس هذا العلم وتقريبه إلى طلابه؛ حيث بسَّطا العبارة قدر المستطاع، مع عدم الإخلال بالمادة العلمية، وبذلا وسعهما في توضيح المسائل من خلال الأمثلة التطبيقية المشروحة، والمنتقاة من المصادر الأصلية، ودعَّما كلامهما في كثير من المباحث بنقول من كتب المتقدمين الذين صنفوا في هذا الفن، ليكون الكتاب صلة وصل بين تراثنا التليد والأصيل، وطارفنا الواضح والمجدد.

وقد أطنبا قليلاً في المباحث الأكثر غموضاً؛ رجاء التوضيح، وأوجزا في المباحث التي رأيا أنها واضحة، لا يحتاج فهمها إلى كبير عناء.

وعُنيا ببيان وجه ارتباط بعض أنواع علوم الحديث ببعض، مما يُساعد على إعطاء تصوُّر شمولي لهذا العلم.

و ـ الوضوح والتكامل: وأحبُّ هنا أن أسجل حول هذا الكتاب المرجعي ملاحظتين:

الأولى: أنَّ أصلَ هذا الكتاب مذكرة في مصطلح الحديث كان أستاذنا الدكتور الخن قد وضعها مُقرَّراً لطلاب السنة الثانية من كلية الشريعة في جامعة دمشق، وكنتُ ممن قدم فيها امتحاناً عام ١٩٦٢م، وأذكرُ أن أسلوبها الواضح، وأمثلتها المبسطة؛ أزال من نفوس جميع الطلاب كلّ وحشة أو تخوُّف من (علم المصطلح)، وحقَّقوا في الامتحان نجاحاً بنسبة كبيرة ودرجات عالية.

الثانية: أن الدكتور بديع أضاف إلى المذكرة تجربة عشر سنوات من تدريس المادة في أكثر من جامعة، كما أفاد من الكتب المرجعية في هذا

الفن، وهي إما تآليف قديمة طبعت حديثاً، وإما تآليف جديدة ومبتكرة.

وقد عايشت حرصه الشديد على تطابق الأمثلة مع القاعدة في كل مصطلح وفي كل تعريف، ولمست مكابدته في التبسيط والتوضيح، مع الإبقاء على المستوى الأكاديمي الرفيع للكتاب، وعدم التساهل بالمادة العلمية الدسمة في جميع موضوعاته وفقراته.

● وقد احتـوى الكتاب في ختامه على ثبت بالمصادر والمراجع المفيدة في علوم الحديث، مع التوثيق والتدقيق في ذكر الدار الناشـرة، وتاريخ سنة الطبع.

كما اشتمل على الفهارس الفنية التالية:

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية.

٣ ـ فهرس الأعلام.

٤ ـ فهرس المصطلحات الحديثة.

٥ ـ فهرس الموضوعات.

* * * *

ثالثاً ـ التحقيقات الخاصة

١ ـ الكتاب الأول

أ ـ اسمه: (**المنهل الراوي من تقريب النواوي**).
تأليف: الإمام الفقيه المحدث محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي. (٦٣١ـ٦٧٦هـ).

ب ـ قياسه: ١٧×٢٥سم، عدد صفحاته (٣١٤)، في مجلد فني.

جـ ـ الناشر: دار الملاح ـ للطباعة والنشر بدمشق، من غير تاريخ.

د ـ موضوع الكتاب: علوم الحديث (مصطلح الحديث)، وأصل تسمية الكتاب (التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير)، وقد ذكر الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في المقدمة: أنه اختصره من كتاب له أسماه (الإرشاد)، وذكر أن كتاب الإرشاد مختصر أيضاً من كتاب (علوم الحديث) للشيخ الإمام الحافظ المحقق المدقق أبي عمرو بن الصلاح المتوفى سنة (٦٤٣هـ) رحمه الله تعالى.

فجاء كتاب (التقريب) غاية في الاختصار، ولكن مع الحرص على إيضاح العبارة، ومن غير إخلال بالمقصود. وقد شرح (التقريب) الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ)، وأسمى شرحه (تدريب

الـراوي شـرح تقريب النواوي)، ويقع في مجلدين، وقد طبع[1] حديثاً بتحقيق الشيخ نظر محمد الفريابي.

د ـ أهمية الكتاب:

الكتاب مختصر مهم، يجمع أمهات مسائل علوم الحديث، ولا يخل بطرف منها، وفيه من أنفاس الإمام النـووي الطاهرة، ومن إخلاصـه وبركته ما يجعله كتاباً فريداً في منهجه وأسلوبه، وقد رأى شيخنا الدكتور مصطفى الخن حفظه الله تعالى أن يقدم كتاب (التقريب) لطلابه وقرائـه في هذا العصر مع شـيء من التعليق والتوضيح والتمثيل. وقد تضمن عمله في تحقيـق الكتاب الخطوات التالية:

١ ـ إصلاح بعض الأخطاء الواردة في النسخة المطبوعة، بالرجوع إلى كتاب (تدريب الراوي . .).

٢ ـ ذكر أمثلة لما أغفل المؤلف التمثيل له.

٣ ـ ترجمة الأعلام الذين ذكرهم المؤلف ترجمة مختصرة مفيدة، وهي مجموعة في نهاية الكتاب، مرتبة على الأحرف الهجائية.

٤ ـ شرح بعض تعبيرات ومصطلحات وردت في كلام المؤلف الإمام النووي.

٥ ـ ضبط بعض الألفاظ بالشكل.

٦ ـ ذكـر بعض جوانب في الموضـوع تركها المؤلف، فلم يتحدث عنها.

---

(١) طبع في دار طيبة بالرياض ثلاث طبعات، وطبعته دار الكلم الطيب في دمشـق وبيروت عام ١٩٩٦م، وأعادت طبعه عام ٢٠٠١م.

٧ـ تخريج الأحاديث الواردة.

وقدَّم المحقق للكتاب بمقدمة بيَّن فيها أهمية علم المصطلح، والمراحل التي مرَّ بها، وأبرز المصنفات في كل مرحلة، حتى عصرنا الحاضر، ثم ترجم للإمام النووي ترجمة وافية.

وختمه بفهارس علمية تضمنت:

أـ فهرس الأعلام.

ب ـ فهرس التراجم.

جـ ـ فهرس الموضوعات.

* * * *

٢ ـ الكتاب الثاني

أ ـ اسمه : (**تسهيل الحصول على قواعد الأصول**) .

تأليف : العلاَّمة محمد أمين سويد الدمشقي ـ المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ

ب ـ قياسه : ١٧×٢٥سم ـ عدد صفحاته (٢٨٠)، تجليد غلاف .

جـ ـ الناشـر : دار القلم في دمشـق ـ وصدرت طبعته الأولى عـام (١٤١٢هـ = ١٩٩١م) .

د ـ موضوعه : قـواعد وضوابط في علم الأصـول، أصول الفقـه، تبتدئ بمقدمة في مبادئ هذا العلم، تليها سبع مقالات في الأدلة السبعة، وخاتمة في العقائد والأخلاق التي يتجلى فيها الزهد والتصوف . أما الأدلة السبعة فهي : الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس الجلي، عند الأئمة الأربعـة. والاستحسـان عند الحنفيـة، والاسـتصحاب عند الشـافعية، والعرف العام عند المالكية .

د ـ أهمية الكتاب : وتظهر لنا من مقدمة المؤلف، وهو شيخ ربانيٌّ، وعالم بحرٌ في علوم الشرع، وبخاصة علم الأصول والفقه، ولنصغ إليه يقول : «هذه رسـالة تشتمل على فـوائد وضوابط بهية، في فن الأصول، ومآخذ الأحكام السنية، جانبت فيها الاختصار المخل، والتطويل المضعف للهمم الممل» .

ولا شـكَّ أن اعتناء أسـتاذنا الدكتور (أبو محمد) بهذه الرسالة

نسخاً وتحقيقاً، يدلُّ على أهميتها وقيمتها العلمية، خاصَّة وهو المتضلِّع في علم الأصول، والمطلع على كتب هذا الفن القديم منها والجديد، كما أن إخراجها محقَّقة ومفهرسة، وبعناوين توضيحية ومقدمات ضافية عن علم الأصول، ومدارسه، ومؤلفاته؛ زاد في أهميتها، ونبَّه طلاب العلم إلى ضرورة الاعتناء بها.

وهذا العمل العلميّ في تاريخ العالم الأصولي الدكتور مصطفى الخن يدلُّ على وفاء ظاهر لمشايخه الذين تتلمذ على أيديهم، وحديثه في المقدمة عن جامع منجك، وعن معهد التوجيه الإسلامي، وعن شيخه العلاَّمة المجاهد حسن حبنكة الميداني ـ الذي كان لي شرف الجلوس في بعض حلقات دروسه في منزله العامر بالميدان، وهو يقرر درساً في تفسير القرآن الكريم ـ يدلُّ على الأدب الجم والوفاء الكبير للمشايخ والعلماء الأجلاء الذين أثَّروا في حياته.

هـ ـ عمل المحقق في مخطوطة (تسهيل الحصول على قواعد الأصول):

١ ـ وضع عناوين مناسبة للأبحاث.

٢ ـ تحقيق ما ورد في الكتاب من بحوث أصولية؛ بالرجوع إلى أمهات كتب أصول الفقه.

٣ ـ توثيق ما ذكر في الكتاب من مسائل، وذلك بنقل نصوص من الكتب المشار إليها وغيرها.

٤ ـ توضيح بعض القواعد التي ذكرها المؤلف وتفصيل ما أجمل منها.

٥ ـ كتابة بعض الكلمات على الطريقة الإملائية المتعارف عليها حديثاً.

٦ ـ عزو الآيات إلى سورها وذكر أرقامها.

٧ ـ تخريج الأحاديث التي استدلَّ بها المؤلف.

بالإضافة إلى ترجمة المؤلف الشيخ محمد أمين سويد، والتعريف بعلم أصول الفقه، وذكر مدارسه، والمؤلفات القديمة التي وصلتنا مطبوعة.

* * * *

رابعاً ـ التحقيقات المشتركة

١ ـ الكتاب الأول

أ ـ اسمه: (حسن الإسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة).

تأليف: السيد محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، من علماء الهند، المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، وتحقيق: الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن، والدكتور محيي الدين ديب مستو.

ب ـ قياسه: ١٧×٢٥سم، عدد صفحاته (٦٢٠)، مجلد فني.

جـ ـ الناشر: مؤسسة الرسالة في بيروت، وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام (١٣٩٨هـ = ١٩٧٧م)، وبين يديَّ الطبعة الثامنة الصادرة عام (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

د ـ موضوعه: ما ثبت من الله ورسوله في النسوة، جمع المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ آيات الكتاب الحكيم، وأحاديث النبي الكريم ﷺ، وشرح الآيات شرحاً واضحاً، اختاره من كتب التفسير المعتمدة، وذكر في نهاية كل حديث مصدره من كتب السنة، وختم الكتاب بما تخصصت به النساء وتميزت دون الرجال من أحكام.

هـ ـ أهمية الكتاب: إنه كتاب متميز في عرضه وأسلوبه، مبتكر في موضوعه، ويسدُّ ثغرة كبيرة في مضمار الثقافة الإسلامية، والمكتبة المتخصصة، للمرأة المسلمة.

والمرأة المسلمة مدعوة في هذا العصر المتفجر بالعلم والمعرفة؛ إلى مشاركة الرجل في العودة إلى الإسلام، والتمسك بأحكامه قولاً وعملاً، عقيدة ومسلكاً، حتى يُعادَ بناء صرح البيت الإسلامي، الذي يُنجب الأبطال، ويُخرِّج المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى. وهذا كله مرتهن بالطاعة الحقة للأوامر الإلـهية والوصايا النبوية على علم وفقه ونور.

و ـ عمل المحقِّقين في الاعتناء بنصوص الكتاب:

١ ـ إفراد الآيات القرآنية فوق شرحها، مضبوطة بالشكل، معزوة إلى سورها.

٢ ـ البدء في كل تفسير آية من أول السطر، وكذلك البدء في كل حديث، للتغلب على أسلوب السرد بين النصوص، والذي اتبع في الطبعة الحجرية الأولى للكتاب.

٣ ـ شرح بعض الألفاظ والمصطلحات العلمية، وترجمة بعض الأعلام الذين ذكرهم المؤلف.

٤ ـ تخريج الأحاديث التي يتعرض لها المؤلف.

٥ ـ ترجمة المؤلف: ترجمة موجزة، فيها ذكر نسبه، ومولده ونشأته، وعلمه وشيوخه، ومؤلفاته، ووفاته.

* * * *

٢ ـ الكتاب الثاني

أ ـ اسمه: (**إرشاد الفحول** إلى تحقيق الحق من علم الأصول).

تأليف: الإمام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠هـ)
تحقيق: الأستاذ الدكتور مصطفى الخن، والدكتور محيي الدين مستو.

ب ـ قياسه: ١٧×٢٥ ـ عدد صفحاته (٦٢٠)، مجلد فني.

جـ ـ الناشر: دار الكلم الطيب في دمشق وبيروت، وتصدر الطبعة الأولى منه سنة (١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م).

د ـ موضوعه: دراسة علم أصول الفقه، وتمحيص أسسه وقواعده، وبيان الحق والصواب في جميع مسائله، وقد بدأه بمقدمة أوضح فيها رأيه في القواعد الأصولية، أنها ظنية الدلالة لا قطعية، إذ هي تدخل في باب الاجتهاد؛ ويجوز العدول عنها ومخالفتها. ثم عرَّف بعلم أصول الفقه، وحدَّد تعريفه، وموضوعه، وفائدته، واستمدادَه، وتكلَّم عن الأحكام وأقسامها، وعن المبادئ اللغوية، وتقسيمات الألفاظ في خمس مسائل.

ثم أفاض في ذكر مقاصد الكتاب السبعة، بمسألتين مهمتين.

هـ ـ أهمية الكتاب:

تتجلى أهميـة الكتاب في خاصيـة علم أصول الفقه، وأنه المأوى الذي يـأوي إليه الأعلام، والملجأ الذي يُلجأ إليـه عند تحرير المسـائل

وتقرير الدلائل في غالب الأحكام.

وقد عزم المؤلف ـ كما في المقدمة ـ على إيضاح راجحه من مرجوحه، وبيان سقيمه من صحيحه، موضحاً لما يصلح منه للرد إليه، وما لا يصلح للتعويل عليه.. وقد نقل أقوال العلماء قبله، ونسب الآراء إلى أصحابها بأمانة وموضوعية، وناقش الأدلة ورجَّح بينها، وأدلى بدلوه في تفرد وتميز خاص، بعيدٍ عن أي جمود أو تعصب.

والكتاب بلا ريب دعوة مفتوحة ومتجددة للدراسات الأصولية، والمناقشات الفقهية، والمقارنات المذهبية، وكل ذلك مدعم بالأدلة الظاهرة والحجج الساطعة، للتوصل إلى تحقيق الحق.

و ـ عمل المحققيْن:

١ ـ مقابلة النسخة المطبوعة، على النسخة، المخطوطة، وإثبات الفروق المهمة، والتصحيحات المفيدة.

٢ ـ تخريج الأحاديث التي يستدل بها المؤلف، أو يُوردها شواهد أثناء مناقشته لآراء العلماء وأقوالهم.

٣ ـ عزو الآيات القرآنية إلى سورها وبيان أرقامها بعدها مباشرة، للتقليل من أرقام الهوامش.

٤ ـ شرح بعض الألفاظ الغريبة.

٥ ـ عزو بعض الأقوال إلى مصادرها، وضبطها في أصولها كلما تيسر ذلك.

٦ ـ ترجمة علماء الأصول الذين يرد المؤلف كتبهم، أو يستشهد بأقوالهم.

٧ ـ ترجمة المؤلف، وعرض مختصر لمدارس علماء الأصول، وبيان موقع (إرشاد الفحول) منها.

ز ـ **غاية هذه الطبعة الموثقة**: خدمة الطلاب المتخصِّصين في علم الأصول، بعيداً عن الاختزال والتشويه، وعن الترهل والسذاجة، وإنصافاً للمؤلف، واحتراماً للكتاب، وإلغاءً للتعليقات الممطوطة والمتكلَّفة، والآراء الخرقاء والمتمحَّلة. وبإخراج جميل، وشكل أنيق، وحجم وسط.

* * * *

٣ ـ الكتاب الثالث

أ ـ اسمه: تفسير البيضاوي.

(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) تأليف: القاضي عبد الله بن محمد البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥هـ.

تحقيق: الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن، والدكتور محيي الدين ديب مستو، والدكتور بديع السيد اللحام.

ب ـ قياسه: ١٧×٢٥سم عدد صفحاته (٢٥٦٠): ١/ ٤ مجلد فني مع الفهارس.

جـ ـ الناشر: دار الكلم الطيب، وتصدر الطبعة الأولى منه سنة (١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م).

د ـ منهجه: هو تفسير متوسط الحجم، يجمع بين التفسير والتأويل وفق قواعد اللغة العربية، واعتماداً على أصول أهل السنة والجماعة.

ومن موارده: التفسير الكبير؛ للفخر الرازي. وتفسير الكشاف؛ للزمخشري. ومفردات القرآن؛ للراغب الأصفهاني، والآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين.

وللبيضاوي أسلوب خاص في إيراد بعض اللطائف والفوائد، بأسلوب رائع وعبارة بديعة في كثير من الأحيان، ولكن بعض ألفاظه وتراكيبه ترد دقيقة ومعاني جملة عسيرة ومغلقة. وحاشية الشهاب الخفاجي

خير معين على فتح مغاليقه، وتوضيح رموزه، وتبسيط قواعده.

ويهتم المؤلف بذكر القراءات، ويعرض لبعض المسائل النحوية، والإعرابية، والفقهية، وهو شافعي المذهب، ويميل إلى تأييد وترجيح مذهبه، ويتأثر بالفخر الرازي في الاهتمام بمباحث الكون والطبيعة عند عرض آيات القدرة الإلـٰهية في السماء والأرض.

هـ ـ عمل المحققين:

تمهيد يتضمن التعريف بالتفسير ومؤلفه.

١ ـ ضبط النص، وتثبيت الفروق.

٢ ـ عزو الآيات الشواهد إلى سورها مع أرقامها.

٣ ـ تخريج الأحاديث النبوية، والآثار.

٤ ـ عزو الأشعار إلى قائليها، مع ذكر تمامها من العجز أو الصدر، إن استشهد المؤلف بنصف البيت.

٥ ـ التوضيح لبعض العبارات الغامضة.

● مستعينين في ذلك كله بكتب التفسير والحديث، وبخاصة حاشية الخفاجي، وتخريجات الحافظ ابن حجر.

* * * *

٤ ـ الكتاب الرابع

أ ـ اسمه: (المنهاج القويم في مسائل التعليم).

تأليف: شهاب الدين أحمد بن حجر الهَيْتَمي المتوفى سنة ٩٣٤هـ.

وهو شرح على المقدمة الحضرمية، في الفقه الشافعي. للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بافضل الحضرمي، المتوفى سنة (٩١٨هـ).

● شرح ألفاظه، وخرَّج أحاديثه، وقدَّم له:

د. مصطفى سعيد الخن، ود. مصطفى ديب البغا

ود. محيي الدين ديب مستو، والأستاذ علي خالد الشربجي.

ب ـ قياسه: (١٧×٢٥سم)، وعدد صفحاته (٤٩٤)، مجلد فني.

جـ ـ الناشر: دار الكلم الطيب، ودار العلوم الإنسانية بدمشق، وقد صدرت طبعته الثالثة عام (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م).

د ـ منهجه: هو كتاب يقتصر على فقه العبادات، ويمتاز المتن والشرح فيه بإيراد الأحكام الصحيحة والمعتمدة في الفقه الشافعي، وعباراته في الكتابين (المقدمة الحضرمية) و(المنهاج القويم) سلسلة ومنتقاة، وتدل على تمكن المؤلفيْن في علم الفقه والفتيا.

هـ ـ عمل المحققيْن:

١ ـ التقديم للكتاب بمقدمة ضافية عن مدلول كلمة الفقه، وأدوار

الفقه الإسلامي، وأسباب اختلاف الفقهاء، والتعريف بالمذهب الشافعي.

٢ ـ فصل كتاب المقدمة الحضرمية في أعلى الصفحة بخط أسود، ثم يأتي الشرح تحته مباشرة، بعد تحقيق العبارة وضبطها.

٣ ـ ترقيم الآيات القرآنية، وذكر سورها.

٤ ـ تخريج الأحاديث، وذكر الأدلة.

٥ ـ ترجمة بعض الأعلام الفقهاء.

٦ ـ وضع علامات الترقيم.

● مستفيدين في ذلك بالكتب المصادر من المؤلفات الموسوعية في الفقه والحديث.

* * * *

خامساً ـ المؤلفات الجامعية

١ ـ الكتاب الأول

أ ـ اسمه : التفسير العام :

ب ـ قياسه : ١٧×٢٤سم، وعدد صفحاته (٤٦٤) .

جـ ـ منشورات جامعة دمشق ـ الطبعة الخامسة .

د ـ موضوع الكتاب : تفسير الآيات والسور المقررة في السنة الثانية من كلية الشريعة ـ جامعة دمشق، والمقرر هو :

١ ـ تفسير الآيات الأولى من سورة البقرة (١ ـ ٢٠) .

٢ ـ تفسير سورة النور .

٣ ـ تفسير سورة الأحزاب .

٤ ـ تفسير سورة الحجرات .

٥ ـ تفسير سورة المجادلة .

٦ ـ تفسير سورة الممتحنة .

٧ ـ تفسير سورة الصف .

٨ ـ تفسير سورة الجمعة .

هـ ـ **أهمية الكتاب**: تصميم المؤلف، وإلزام نفسه، بوضع كتاب يضم بين دفتيه جميع مفردات المقرر.

ومما قالـه الدكتور الخن في المقدمة: «ولقد قمتُ بذلك، ولكن لضيق الزمن لم أُحقق فيه ما كانت نفسـي تصبو إليه، ولكن سـوف تتاح الفرصة لإعادة النظر فيه فيما يأتي من الزمن إن شاء الله.

على كل حال فشأن البشر عدم بلوغ الغاية القصوى، إذ ما من عمل يُعتقد فيه الكمال، إلا ومن ورائه عمل أكمل منه». وتكمن أهمية الكتاب في تـوفير الجهد على الطلبة، وتيسير المادة الامتحانية في كتـاب واحد مطبوع.

و ـ منهج المؤلف في التفسير:

١ ـ التقديم للسورة يشتمل على:

أ ـ نزولها وعدد آياتها. ب ـ سبب تسميتها بهذا الاسم.

جـ ـ خصائصها وفضلها. د ـ موضوعاتها والأمور التي عالجتها.

٢ ـ تقسـيم الآيات في السورة إلى مقاطع ذات موضوع واحد، ووضع عنوان لها.

٣ ـ تفسير لغريب كلمات الآية، مع التحليل التام.

٤ ـ إيـراد أقوال المفسـرين في معاني الآيـات، مع الاسـتقصاء، والتوثيق، والترجيح بينها.

٥ ـ وقد يختم الآيات أحياناً بكلام نفيس، يُظهر عظمة الإسـلام، وصلاحية أحكامه للإنسان والحياة، وفي كل زمان ومكان.

ز ـ العَالِمُ المُفسِّرُ:

لم تقتصر جهود الدكتور (أبو محمد) في التفسير على هذا الكتاب، بل اشتملت على خبرات متخصصة، منحته شخصية العالم المفسر لكتاب الله تعالى، وفـق منهج متميـز، ظهر في تقديمـه لمؤلفين معاصريـن، ومراجعاته لمؤلفاتهم، وإشرافه على العديد من الرسائل الجامعية، ومشاركته في تأليف تفسير وجيز، بالاشتراك مع فضيلة الشيخ محمد كريّم راجح، سيظهر إلى النور قريباً، وتعليقاته القيّمة على تفسير البيضاوي، التي دخلت في تحقيق تفسير البيضاوي، الذي تكلّمتُ عنه في التحقيقات المشتركة فيما تقدّم.

* * * *

٢ ـ الكتاب الثاني

أ ـ اسمه : فقه المعاملات .

ب ـ قياسه : ١٧×٢٤سم، وعدد صفحاته (٣٦٤) .

جـ ـ الناشر : جامعة دمشق ـ الطبعة السادسة .

د ـ موضوع الكتاب : فقه المعاملات ـ المقرر في السنة الرابعة من كلية الشريعة ، ومقررات المنهاج هي :

١ ـ الرهن .	٥ ـ الوكالة .
٢ ـ الصلح .	٦ ـ الشفعة .
٣ ـ الكفالات .	٧ ـ العارية .
٤ ـ الشركات .	٨ ـ الوديعة .

هـ ـ أهمية الكتاب : يُظهر المؤلف أهمية التأليف في مادة الفقه ، فيقول في المقدمة : «إذا كانت علوم القرآن، وعلوم الحديث الشريف في أوج العلوم الشرعية، لأنه ـ كما يقولون ـ شرف المتعلِّق بشرف المتعلَّق ، إن يكن ذلك كذلك ، فإن علم الفقه لا يقلّ عنهما شأناً ، لأنه منهما يستمد ، وعليهما يعتمد، وبهما يستدلُّ .

هذا بالإضافة إلى أن علم الفقه بمفهومه الواسع ـ وكما يفهم علماء

السلف، رحمهم الله ـ كان يمدُّ ظلّه حتى يشمل العقيدة، ومعرفة النفس ما لها وما عليها».

و ـ **منهج المؤلف** ـ رعاه الله تعالى ـ في تأليف كتاب (فقه المعاملات) على النحو التالي:

١ ـ عرض المسائل الفقهية في زمر، كل زمرة معنون لها بعنوان مناسب لها.

٢ ـ لم يلتزم أن يعرض في كل مسألة الآراء الفقهية جميعها، بل اكتفى بسرد بعض المذاهب، وغالباً ما يكون المذهب الشافعي، والمذهب الحنفي.

٣ ـ التزم غالباً أن يذكر دليل المذهب، ووجهة نظره في هذه المسألة.

٤ ـ لم يلتزم أن يذكر جميع الأدلة التي استدلّ بها أهل المذهب، بل اكتفى في بعض المسائل بذكر معظم الأدلة.

٥ ـ لقد كان يتعمد ذكر نصوص من الكتب القديمة، يأتي بها دليلاً على ما ذكر، والغرض من ذلك أن يعتاد الطالب في هذه المرحلة على تفهّم المسائل من خلال نصوص المؤلفين القدامى، وأن يتعرَّف هذا الطالب على أمهات الكتب الفقهية، التي تعدُّ المصادر الوثيقة في نقل فقه الأئمة المجتهدين، وأن يحسن الاستفادة منها.

٦ ـ لقد اعتمد في نقل المذهب كتب المذهب نفسه، إذ كثيراً ما نرى أن كتب بعض المذاهب تنقل عن المذهب الآخر أقوالاً غير موجودة فيه، أو أقوالاً ليست هي الأقوال الصحيحة المفتى بها في هذا المذهب.

٧ ـ لم يشأ مناقشة الآراء الفقهية وترجيح ما يراه مناسباً، بل اكتفى بسرد الآراء والأقوال وأدلتها، لأنه يعتقد أن مناقشة الآراء وترجيح بعضها على بعض ليست من مهمة هذه المادة، بل هو من مهمة مادة أخرى هي مادة (الفقه المقارن)، وهي مادة تُدرَّس في هذه السنة نفسها، ولكل مادة اتجاه، ولكل مادة هدف.

ز ـ العَالِمُ الفقيهُ:

وقد وفَّى الأستاذ الدكتور (مصطفى الخن) بمنهجه كاملاً، وظهرت شخصيته المتخصصة في الفقه وأصوله، وبرز إلى قائمة المؤلفات الجامعية كتاب معاصر في (فقه المعاملات) واضحٌ ومرتَّب، وممتلئ بالأحكام الموثقة، والمقارنات الموضوعية. والقارئ المنصف يشهدُ، ويقرُّ ما أجمع عليه الطلاب الذين قدموا فيه امتحاناً: إنه من أنجح الكتب الجامعية، ومن أكثرها فائدة ومنهجية، وأوجد علاقة حميمة بين الطالب والكتب الفقهية القديمة، وأزال أيَّ جفوة لعناوين مهمة وحياتية في فقه المعاملات.

* * * *

٣ ـ الكتاب الثالث

أ ـ اسمه : مبادئ العقيدة الإسلامية .

ب ـ قياسه : ١٧ × ٢٤ سم ، وعدد صفحاته (٣٩٩) .

جـ ـ الناشر : جامعة دمشق ، الطبعة الثامنة .

د ـ موضوع الكتاب : مبادئ العقيدة الإسلامية ، المقررة في السنة الثانية ـ كلية الشريعة ، جامعة دمشق . ومفردات المقرر هي :

أولاً : المدخل والمبادئ العامة .

ثانياً : الله والكون والإنسان .

ثالثاً : النبوة والوحي .

رابعاً : الغيب والمعاد .

خاتمة : نظرة شاملة في خصائص العقيدة الإسلامية وخصائصها .

هـ ـ **أهمية الكتاب** : بيَّن المؤلف ـ حفظه الله ـ تلك الأهمية العظيمة لهذا الكتاب الجامعي المقرر فقال في المقدمة :

«منذ تأسست كلية الشريعة كان من أبرز ما كانت ترمي إليه ، إصلاح العقيدة ، علماً منها أنه بصلاح العقيدة صلاح الإنسان ، فكان من أبرز

المواد المقررة فيها مادة العقيدة الإسلامية، واستمرت العناية بهذه المادة إلى يومنا هذا، وستبقى هذه المادة خالدة، ما أراد الله الخلود لدينه الذي ارتضاه لعباده ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

و ـ منهج الكتاب:

تقديم كتاب جامع لمفردات منهاج السنة الثانية، وإجهاد النفس لتقديم معلوماته بشكل مبسّط وموثّق، والاستدلال على المبادئ المطروحة للبحث بما جاء في القرآن الكريم، وبما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ، إذ هما العماد الأول في توضيح وتثبيت هذه العقائد الإسلامية.

ز ـ التطوير والمعاصرة:

لا ريب أن كتاب (مبادئ في العقيدة الإسلامية) كان خطوة جريئة إلى الأمام في تطوير أسلوب عرض مبادئ العقيدة، ليتمشى ذلك مع ما تحقَّق لفروع العلوم الشرعية الأخرى من تحديث ومعاصرة. وإذا كان الرجل هو الأسلوب ـ كما يقولون ـ فإن أستاذنا (أبا محمد) اختار السهولة في اللفظ، والوضوح في الأسلوب، وأبقى الصلة قائمة مع الكتب التراثية الأصيلة، المؤلفة قديماً في علم التوحيد والعقيدة، أو ما أطلقوا عليه: الفقه الأكبر. وحقَّق معادلته التربوية فكراً ومسلكاً، المتمثلة في أنَّ المهمَّ هو الحصيلة المفهومة المهضومة من المقرّرات، التي تُثبت جدوى الدراسة، وتحقّق التحصيل، وتملُّكَ مفاتيح العلم.

* * * *



الخـاتـمَة

● وفي الختـام أرجو الله تعالى أن أكون حققت ما رميتُ إليـه من تـرجمة صادقة، بعيـدة كل البعد عن المبالغـة في المدح، أو المغالاة في الإعجاب والحبّ، والاكتفاء بإظهار الحياة الواقعية، والصورة الحقيقية المشرقة، لمسيرة أستاذ الأساتذة الدكتور (مصطفى) وهو عالمٌ دمشقيٌّ تركَ ولا يزال بصماتٍ ظاهرة ومؤثرة في الحيـاة التعليمية العامة والشـرعية، وألّف كتباً مرجعية وخالدة.

● وإذا كانت الحياة لم تُوفِّه كامل حقِّه، فإن الله تعالى لم يُضَيِّعْه في الدنيا، وسيوفِّيه الجزاء الأوفى في الآخرة. وأنا على يقين أنه عاش حياته مكتفياً، بل وفي سعة وبحبوحة أيضاً، وقد نجَّاه الله من العبودية للمال، مع أن الكثير من طلابه ومعارفه جمعوا الملايين، فعافاه الله من مجرد التفكير بضغوط الصفقات أو ركود الأسواق، وأراح الله أعصابه من المنافسـات والمضايقات، والمضاربات.

ولا أقول: إن المال بقي في يده ولم يصل إلى قلبه فحسب، بل من النادر جداً، وفي حالات محدَّدة ومعدودة التي رأيت فيها شيخنا(أبو محمد) يخرج مالاً من جيبه، أو يدفع مالاً بيده، فقد كانت (أم محمد) تستلمُ راتبه الشهري، وجميع استحقاقاته المالية الإضافية. لقد منحها هذه المهمة لما رأى فيها من حُسن إدارة وتنظيم، والإنفاق في الطرق الصحيحة من غير إسراف ولا تقتير.

والأبناء البررة يتولون اليوم أداء أكثر الالتزامات من ماله الخاص. لقد أغنى الله نفسه، وأسعده بإخلاص زوجته، ومرافقتها له مسيرة دربه، وأسعدَه الله تعالى ببر أولاده، ونجاحهم في أعمالهم.

● وهو الآن نيّف على الخامسة والسبعين، وأراه يُنمّي مكتبته، ويُتابع إصدارات الكتب الجديدة، ويتلافى ما نقصَ من أجزاء الطبعات القديمة. ويأخذ بيد الطلاب والطالبات في الدراسات العليا، ويُعيرهم بعضَ كتبه، ويُخصِّص لكل واحد لقاءً أسبوعياً محدَّداً؛ لمتابعة ما كتب.

ويُقدِّم لبعض المطبوعات التي يرغبُ أصحابُها بقراءتها، وإبداء ملاحظاته عليها، ومن ثم كتابة مقدمة ضافية، يُبيِّن فيها فائدتَها وميزاتها.

● أما همومُ الأستاذ الدكتور (مصطفى) فتنحصر فيما يسمع من هموم الناس، وبخاصّة ما يسمع به من معوِّقات نشر العلم، أو المؤامرات التي تُحاك بقصد الإفساد والتجهيل، ومنع حدوث صحوة علمية إسلامية حقيقية في العالم العربي والإسلامي.

● **ومن الوصايا التي استفدتها منه وانتفعت بها:**

١ ـ لا تُغيِّر اتجاهاً أو عملاً فيه نفع وفائدة لك، حتى يأتي التغيير قسرياً، وخارجاً عن إرادتك.

٢ ـ لا تدع الوسوسة تدخل إلى نفسك من شكوى أو ألم مؤقت؛ لأن المرض لا يُخفي نفسه.

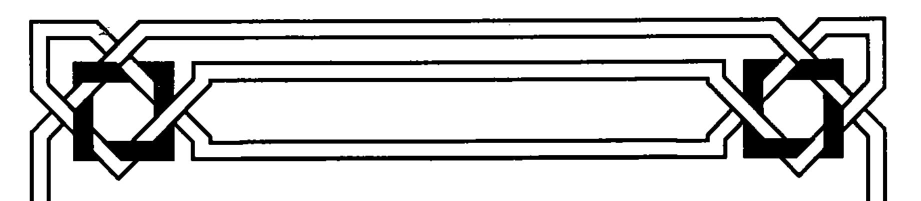
٣ ـ اجتهد في التحصيل، والارتقاء بالنفس إلى ما تستحق. وإيّاكَ والتطامنَ والتواكلَ والخنوع. واعلم أن السعادة تكافؤ الشعور.

٤ ـ لا تفرضْ نفسكَ على الآخرين، وانتظر الطلبَ منهم، واحرصْ على السُّمعة الطيبة، والأعمال المتقنة، فهي التي تحقق لك ما تُريد.

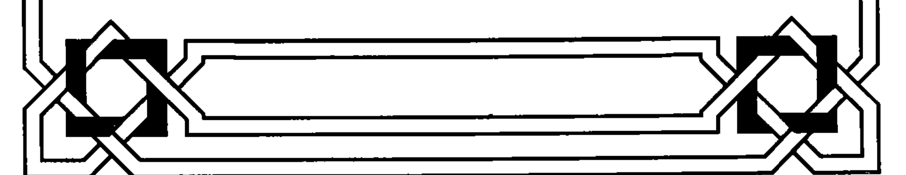
● اللهمَّ لم أقل إلا ما شهدت، ولا أزكي على الله أحداً، سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوب إليك، والحمد لله ربِّ العالمين.

* * * *





الفَهَارِسُ العِلْمِيَّةُ





١ ـ فهرس

الأعمال العلمية الكاملة

للأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن

٧ـ تفسير البيضاوي

أسرار التنزيل وأسرار التأويل	تحقيق مشترك	٩٦ ـ ٩٧

٨ ـ تفسير العام

كتاب جامعي ـ سنة ثانية كلية الشريعة ـ جامعة دمشق	تأليف	١٠٠ ـ ١٠٢

٩ ـ حسن الإسوة

بما ثبت من الله ورسوله في النسوة	تحقيق مشترك	٩١ ـ ٩٢

١٠ ـ الحسن بين يسار البصري

الحكيم الواعظ الزاهد العالم	تأليف	٦٦ ـ ٦٧

١١ ـ دراسة تاريخية

للفقه وأصوله	تأليف	٦٣ ـ ٦٥

١٢ ـ عبد الله بن عباس

حبر الأمة وترجمان القرآن	تأليف	٦٠ ـ ٦٢

١٣ ـ العقيدة الإسلامية

أركانها ـ حقائقها ـ مفسداتها	تأليف مشترك	٨٠ ـ ٨١

١٤ ـ فقه المعاملات

كتاب جامعي ـ سنة رابعة كلية الشريعة ـ جامعة دمشق	تأليف	١٠٣ ـ ١٠٥

العنوان	النوع	الصفحات
١٥ ـ الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي	تأليف مشترك	٧٨ ـ ٧٩
١٦ ـ الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي	تأليف	٧٢ ـ ٧٤
١٧ ـ مبادئ العقيدة الإسلامية كتاب جامعي ـ سنة ثانية كلية الشريعة ـ جامعة دمشق	تأليف	١٠٦ ـ ١٠٧
١٨ ـ المنهاج القويم في مسائل التعليم	تحقيق مشترك	٩٨ ـ ٩٩
١٩ ـ المنهل الراوي من تقريب النواوي	تحقيق	٨٥ ـ ٨٧
٢٠ ـ نزهة المتقين شرح رياض الصالحين	تأليف مشترك	٧٥ ـ ٧٧

* * *



٢ ـ فهرس الأعلام

ـ حرف الهمزة ـ

ـ حرف الباء ـ

ـ حرف الجيم ـ

ـ حرف الحاء ـ

ـ حرف الخاء ـ

ـ حرف الراء ـ

ـ حرف السين ـ

ـ حرف الشين ـ

ـ حرف الصاد ـ

ـ حرف العين ـ

-حرف الغين-

-حرف الميم-

* * *

٣ ـ فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

* * *